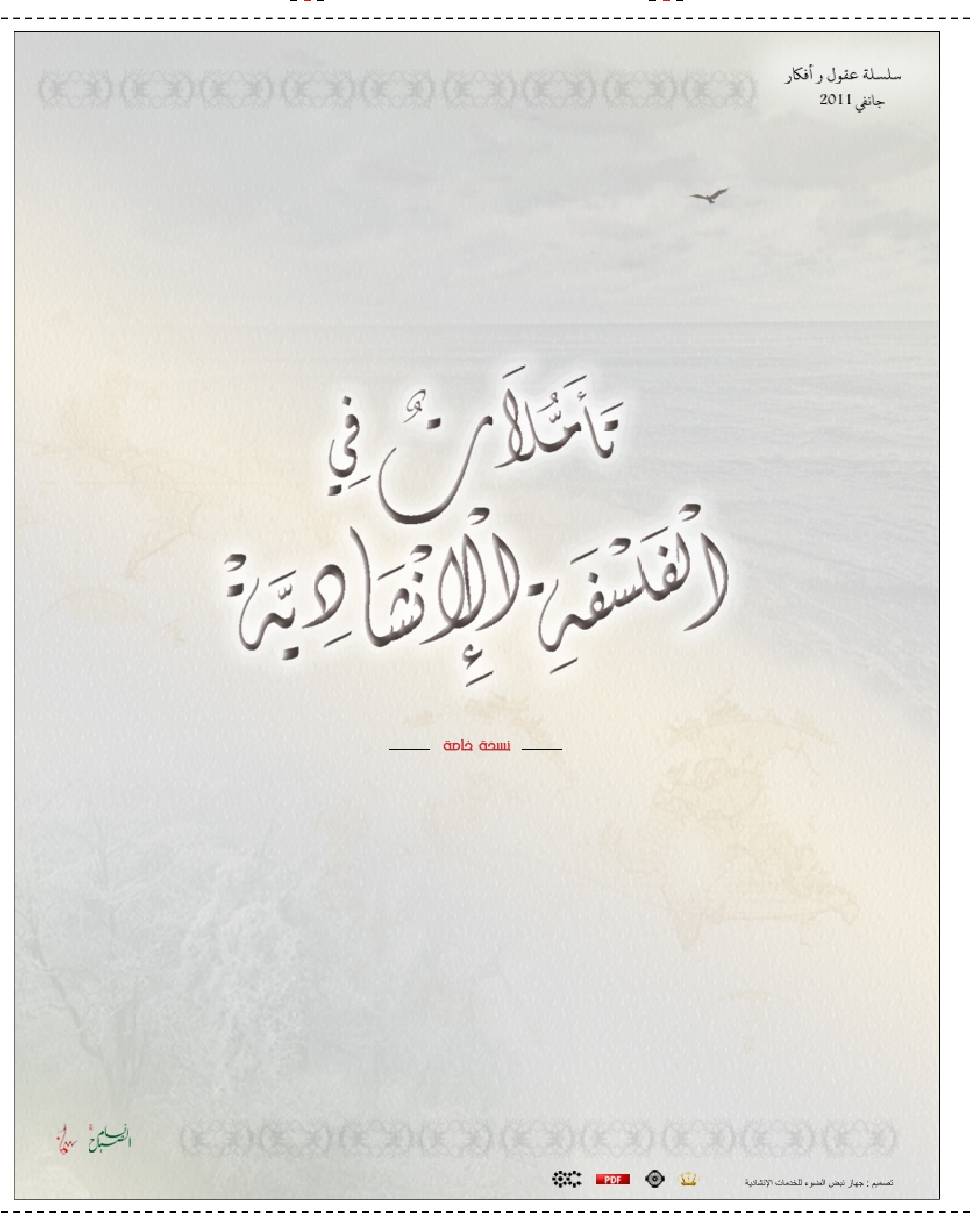
تحت الرّعاية السّامية لشبكة " سما " العالمية

جهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنيّة يقدم



بطـــاقة تقنيـــة

العنوان : **تأملات في الفلسفة الإنشادية (نسخة خاصة).**
سلسلة : **عقول و أفكار.**
إنتاج : **جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية.**
تاريخ : **جانفي 2011.**
تصميم الغلاف : **جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية. (02 نسخ).**
مراجعة و تدقيق : **جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية.**
رعاية إلكترونية : **شبكة سما العالمية.**
هذا الكتاب : **تأمـلات في مواضيـع قد ترتبـط بين بعضها البعض، تدخل كلها ضمن الفكر الإنشـادي الحديث، عبارات و مقولات خصت بالتحليـل و المناقشة، و ما يستدعي ذلك من التطرق لمواضيع تدخل في صلب الإجابة، هي ألغاز تم تفكيك شيفرتها، أو على الأقل سعينا إلى ذلك.**

- -

الفهرس :

المقدمة :

لقد فرض تطوّر الإنشاد تغيّر النّظرة من جهة؛ و توسّعها من جهة أخرى، فما عاد الأمر يعني الموسيقى فحسب، مثلما درج عليه الإنشاديّون، و ما أصبحت الأفكار السّابقة تنفع، و خاصّة تحت ضوء العالميّة، حيث ما فتئ الجميع يشعرون بتلك الوشائج التي تجمع بينهم، بعدما كان كلّ شعب يعيش في عزلة عن العالم، لقد بات الأمر شبيها جدّا بغرفة مفتوحة يدخلها كلّ قاطن بالبيت، في حين يصعب معه الاحتفاظ بخصوصيّة معيّنة، إن لم نعتبر أنّ ذلك من المستحيلات.

تسارعت الأحداث عبر العالم في نسيج تتكاثف خيوطه وفق متغيّرات متباينة، قائمة في جوهرها على التّفكير، الشّيء الذي سيستدعي التّأمّل العقليّ في الإنشاد، بالطّبع إذا كانت هناك رغبة في أن نجعله يواكب تطوّرات هذا العالم.

لا غنى للإنشاديّ عن التّأمّل، فهو التّفكير العميق في قضايا جوهريّة من صميم الفكر الإنشاديّ الحديث، إنّها مانعة للرّؤية السّطحيّة على الأقلّ، فلا يمكن للسّابح في البحر أن يعلم بما تحت الأمواج، و كيف له أن يعلم ما لم يغص بنفسه إلى الأعماق ؟، و ينقّب عن الأسرار الدّفينة بما قد سيكون مكتشفها لأوّل مرّة في التّاريخ ؟.

أخي الإنشاديّ ... أختي الإنشاديّة :

إنّ هذا العمل الذي يشرّفنا أن نضعه بين أياديكم؛ يهمّنا بأولويّة كبرى أن نلمس دراستكم له دراسة وافية مستفيضة، تصل بأذهانكم إلى الأفكار العميقة التي أُدرجت في 30 أطروحة خصّت مجالات عديدة كالدّين، و الموسيقى و الفنّ، و المرأة و الوجود، و الإعلام و الإدراك ...، سبيل مهّدناه لكم لتكونوا على علم بما يحيط بكم، و بما ستتّخذونه كأسس و ركائز في مسيرتكم الإنشاديّة، إنّ الوعي بجواهر الأشياء مفتاح لكثير من الأسرار، فاتّخذوه هدفا تسيرون إليه قدما، حتّى إن لم نصل نحن؛ كنتم أنتم أوّل الواصلين، و لا عجب في هذا إطلاقا، فالمسيرة الإنشاديّة لا تقاس بعمر البشر، خطواتنا و خطواتكم تحفظ للأجيال القادمة ما لا نقدر الآن على البوح به، فهل لنا من حقّ في التماس العذر ؟.

إنّنا نأمل على الدّوام أن تتذكّروا أنّنا ذاهبون لا محالة، و أنتم ستبقون، من أجل إكمال درب مسيرتنا الإنشاديّة.

جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية
الإقليد ماي 2009

1 - عالم الأفكار يسبق عالم اللاّ أفكار.

لم تكن مدرسة الأفكار سوى اسم مرادف لمدرسة الاختصاص، و ما سمّيت بهذا الإسم إلاّ لما تميّزت به من مميّزات، و ممّا يتّضح فإنّ الفكرة أهمّ خاصيّة من خصائص هذه المدرسة، معاكسة المدرسة التي كانت قبلها، المتميّزة بتركيزها على الميدان أكثر من الجانب النّظريّ الفلسفيّ.

سادت مدرسة التّتابع نهاية القرن 20، و امتدّت إلى أيّامنا هذه، في حين أنّ إشعاعات مدرسة الاختصاص بدأت في التّوسّع حسب ما يسمح به المناخ العالمي، و من غير المنطقيّ أن تختفي المدرسة الأولى لتحلّ محلّها الثّانية فجأة، بين عشيّة و ضحاها، إنّ القضيّة معقّدة جدّا، فهي إلغاء أفكار سابقة و تعويضها بأخرى جديدة، لها من الحداثة ما قد يشكّل صدمة عند بعض الإنشاديّين، الذين تغذّوا على مرّ السنوات الطّوال على أفكار لم تعد تناسب القرن 21، لم تعد تتماشى مع الوضع العالميّ الجديد، وضع تميّز بالتّرويج لأفكار تلغي الآخر، و تحدّد هويّة عالميّة واحدة موحّدة، من أجل بناء مجتمع عالميّ، له قيم سلبيّة، ما يلبث أن يدمّر نفسه بنفسه، لا لشيء سوى لأنّه يملك أفكارا بُنيت على نظرة قاصرة تجاه كلّ شيء، و لنكن في قمة الصّراحة : أفكار بُنيت له.

يتحرّك المجتمع العالميّ أساسا على قاعدة فكريّة، و كلّ تصرّف منه ما هو سوى ترجمة للأفكار التي يتبنّاها مهما كانت نوعيّتها، سلبيّة أم إيجابيّة، أمّا التّحرّك من حيث أنّه فعل يحمل إرادة معيّنة؛ فهو ترجمة كذلك لنيّة أوقدت في القلب، نالت نصيب حركتها أيضا من العقل محلّ الأفكار، فتأتي الفكرة أوّلا ثمّ النيّة، و على عكس الأولى؛ فإنّ الثّانية قد تكون مفتقدة، و يتشابهان في التّخفّي أو الظّهور.

هل يقنعك هذا الكلام ؟، هل يؤكّد أنّ ميدان الفكرة قبل ميدان آخر ؟.

إنّ العشوائيّة التي تميّزت بها مدرسة التّتابع انعكست سلبا عليها، كان الفعل يتمّ قبل التّفكير، و إذا سبقت الفكرة؛ كانت بالية، قديمة لا تساير التّطوّر العالميّ، ناهيك على أنّ النيّة السّليمة ألغت كلّ تفكير بنّاء سويّ متجدّد.

كان لزاما على مدرسة الاختصاص أن تتمرّد على هذه الوضعيّة الكارثيّة بفلسفة جديدة تلغي سلبيّات ما قبلها فقط دون تطرّف من أيّ نوع، تقوم على الفكرة التي أوكلت لها مهمّة صياغة الفعل الإنشاديّ، مصحّحة الرّؤى الفنيّة في اتّجاه واحد صحيح، هو قانون من القوانين التي وضعها الله في الكون.

تميّز الحالة السّالفة الذّكر الفكرة عن النيّة، العقل عن القلب، بحيث تجعل كلّ وعاء يختصّ بما هو أهل له، و تضع الكلّ في سياقه الطّبيعيّ العاديّ.

لنركّز الآن على القلب محلّ الاختصاص، فكرة عمل تسطع في العقل، تنشأ منها إرادة ذات نيّة خالصة تجاه الله، إنّه سرّ من أسرار النّجاح.

إنّ الطّبيعـة الإلهيّة لا تقبل الشّريك مطلقاً، و كلّ عمل إنشاديّ لا يكون من ورائـه الله كمبتغى؛ عمل محكـوم عليه بالفشـل، و لو بعد مئات السّنوات، كما أنّ الإخلاص وجه أمان من فساد الفكرة و التّصرّف و ما يتبعهما.

باختصار شديد؛ عالم الأفكار يرسم للإنشاديّ خريطة يعتمد عليها في التّحرّك تجاه الله.

2 - أنا و أنت ثلاثة أفراد، حلّل و ناقش.

عرف القرن 21 الميلادي ظهور نزعة تطوّريّة شملت ميادين كثيرة في فنّ الإنشاد، و كان هذا التّطوّر نتيجة عوامل متعدّدة، ساهمت كلّ واحدة على حدىً في تجهيز أرضيّة صالحة لبناء صرح إنشاديّ يليق بالرّفعة التي تميّز هذا الفن.

بدأ أفراد مدرسة التّتابع يشتكون من خلل اتّضح من عمليّة التّواصل مقارنة بما تمّت ملاحظته في الفنون الغنائيّة الأخرى، و تشكّل الاعتقاد لديهم أنّ ظاهرة الإستقطاب أضحت أكثر من ضرورة ملحّة، إذا أرادوا فعلا للإنشاد أن يظلّ على قيد الحياة.

في هذه الفترة كانت مدرسة الاختصاص تحضّر نفسها للخروج إلى العلن، بعدما وضعت اللّمسات الأخيرة على ما تعتقده خاصيّة المفتاحيّة، غير أنّها فضّلت التّريّث قليلا، ثمّ التّحرّك بخطى مدروسة إلى أبعد تقدير، و التّواجد العلنيّ أو السرّي - حسب الحاجة - على أكثر من صعيد.

و من بين الحاجات التي أثرت على تواجد مدرسة الأفكار بشكل علنيّ؛ الإرث الجماهيريّ لأفراد مدرسة التّتابع، و تمتّعهم بطيف ذي شعاع برّاق لدى المعجبين و المعجبات بفنّهم، أُخذ القرار بدعم هذا التّواجد و تفعيله بطرق مختلفة أهمّها التّوجيه عن بعد، بتقديم ما يسهّل عملهم دون إثارة الانتباه، مع ترك هامش حريّة يتّسع و يضيق اعتمادا على ما تسمح به الظّروف و الأحوال.

إنّ أهمّ خطأ وقعت فيه مدرسة التّتابع كان انصباب جلّ اهتماماتها على الميدان، مهملة الجانب النظريّ الفلسفيّ، و لعلّ هذا ما أدّى إلى ضعفها، و انحسارها في مكان ضيّق منعزل، و متى ما غاب التّفكير السّليم غاب التّصرّف السّليم، و اتّخِذت قرارات عشوائيّة، بنظرات قاصرة، لا تقدّر الحجم الحقيقيّ للأشياء، و لا تزن الأمور بموازين دقيقة.

بالرّغم من تأثّر جلّ أفراد هذه المدرسة بأفكار مدرسة الاختصاص؛ إلاّ أنّ ترسّبات فكريّة من الماضي ما زالت عالقة في العقول و الأذهان، و أخذت قضيّة تنمية المواهب بعدا خاطئا، و إذا كانت مدرسة الاختصاص قد ربطتها بمصطلح " تعبيد الطّريق "، فإنّ مدرسة التّتابع وضعت مصطلح " الفنّان الشّامل " في قاعدة تأسيسيّة، أُحيطت بكلّ وسائل الحرص و التّبنّي.

نظرت مدرسة الاختصاص إلى القضيّة من خلال منظور فلسفيّ، إذ اعتبرت أنّ مسألة العلم مسألة شائكة معقّدة، ليس لها ساحل، و يستحيل على أيّ شخص أن يلمّ به كاملا، زيادة على ذلك؛ يتفكّك العلم إلى مجموعات هائلة من العلوم يؤثّر بعضها في بعض، و تستمرّ في التّفكّك و التّأثير، كما تطرّقت لقوّة الإنشاديّ، و رأت أنّها تضعف كلّما ابتعد عن الله، و تتأسّس جليّا كلّما اقترب منه.

ينبت مبدأ الأدوار الذي تنادي به مدرسة الأفكار من الحتميّة التي تحكم الإنشاديّ أثناء وجوده في الجماعة النّاشط فيها، و لو أُهمل عنصر الدّور لسادت فوضى عارمة، حيث تتولّد لدى كلّ واحد رغبة في السّيطرة على المكان بمجمله، و تتوتّر العلاقات حتّى تصل إلى صراع يستنفذ جميع القوى، فيخرج الجميع خاسرين مهما اعتقد أيّ واحد منهم أنّه الرّابح.

و عليه فإنّ التّواجد في أيّة جماعة كانت؛ يؤدّي بالضّرورة إلى تقسيم الأعمال، الذي يؤدّي بدوره إلى النّظر في الطّاقة المحرّكة لهذه الأعمال، فقوّة الإنشاديّ المتفاعلة مع قوّة إنشاديّ آخر؛ لها وجود ثالث يُضاف إلى وجود القوّة الأولى و وجود القوّة الثّانية، و من هذه الفكرة نشأت عبارة " أنا و أنت ثلاثة أفراد ".

يطير الطّائر بجناحين، كذلك الجماعة تتحرّك بالرّجل و المرأة، و لا مكان لفكرة أنّ الرّجل أولى من المرأة بالدّعوة الفنيّة، غير أنّ القضيّة تأخذ مسارا آخر؛ كما يتعلّق الأمر بالمساحة التي يتحرّك فيها كلّ واحد، قضاء على الفتنة على وجه الخصوص، و سدّا لكلّ مداخل محتملة قد يأتي منها الشّيطان، الذي يمثّل عدوّا للمسيرة الإنشاديّة، يكفيه في هذه الحالة إفساد الأخلاق التي تعتبر أهمّ عامل في العلاقة الأفقيّة، حيث أنّها تقوم بعدّة وظائف، منها تخفيف حدّة الاحتكاك بين الأفراد، هذه الخطوة التي يقوم بها الشّيطان تفكّك الجماعات، و بالتّالي تفكّك القوى المتّحدة، أي تدمّر القوى التّفاعليّة المستحدثة، ليس هذا فحسب؛ بل تتوجّه قوى الأفراد إلى بعضهم البعض، و تتدعّم الأخلاق السلبيّة كالحسد و النّفاق و الكراهيّة و الحقد، لتُنشئ صراعات ذات درجات متفاوتة.

يتعدّى تكامل القوى ما ذُكر سابقا، فإذا زاوجنا بين القوى المستحدثة و عنصر اختلاف الجنسين؛ لنحصل على حاصل زوجين إنشاديّين يشتغل كلا طرفيه في الدّعوة الفنيّة؛ لوصلنا إلى ما يشكّل نواة جيل إنشاديّ يبدأ من زوج و زوجة، يتعزّز بالأولاد، الذين سينشؤون في أسرة همّها الدّعوة الفنيّة.

إنّ هذه الخطوة نضمن بها عدّة مكتسبات :

1 - تكوين جوّ أسريّ بين الرّجل و المرأة يتنفّس الدّعوة الفنيّة.
2 - الحفاظ على بعض أسرار الدّعوة.
3 - استثمار مربح في التّربية تجاه النّاشئة.
4 - تكوين مناخ دعويّ يدعّم نفسه بنفسه. (نسبيّا لأن الدّعم من الله أصل القوّة المطلقة)

الأسرة خليّة أساسيّة للمجتمع العالميّ، يصلح إذا صلحت، و يفسد إذا فسدت، و لمّا كانت القيادة في الأسرة للرّجل على أنّه يملك وعيا مقابل المرأة؛ كانت القيادة في الجماعة الإنشاديّة لمن يملك أن يجعلها قيادة حكيمة رشيدة، فليس كلّ رجل مؤهّلا للقيادة، إنّما هي استعداد و موهبة و قدرة على توجيه القوى المتنامية و المتزايدة نحو هدف محدّد بدراسة عميقة ذات بعد استشرافيّ، قائد يحفظ جماعته من كلّ المخاطر التي تهدّدها.

هناك نوع من الشّبه بين عمليّة الإسناد التي تقوم بها الزّوجة لزوجها؛ و عمليّة الإسناد التي يوفّرها مساعدو القائد لقائدهم، فهم بمثابة الأضلاع له، و لن يستطيع فعل شيء إذا تصرّف بمفرده، فهو في هذه الحالة سيتحرّك كالدبّابة، لا يصل إلى هدفه بلطف دون أن يعيث فسادا ذات اليمين و ذات الشّمال، و هي طريقة لتدمير جماعته من بين عشرات الطّرق الأخرى، غير أنّه هو المسؤول الوحيد عن هذا التّدمير، بما يتوفّر له من قوى غير عاديّة لم يحسن التّصرّف فيها على الوجه المثاليّ.

و الجماعة الإنشادية يمكن تدميرها من الدّاخل من منظور القوى المتفاعلة، بتوجيهها إلى غير أهدافها، فيكون ردّ فعل لم يحضّروا له أنفسهم على الوجه اللاّزم، في ميدان ليس بميدانهم، و ساحة معركة ليسوا بها بعارفين أو ماهرين.

أو توليد صراع فيها، فتنفجر القوّة الكاملة للجماعة، متجزّأة إلى عدّة أجزاء، تضعف كلّما زاد التّجزّأ.

هل تدرك أنّ قوّة الجماعة العالميّة مجزّأة إلى عدّة جماعات يُطلق على كل واحدة منها اسم " وطن " ؟.

أنا و أنت ثلاثة أفراد، إذا عرفنا جيّدا كيف نجعل هذه القوى تخدم الدّعوة الفنيّة، و بلّغنا رسالته تعالى على قدر ما هو متوفّر لنا منها.

3 - إلى أيّ مدى يتحكّم الدّين و الفكر و الفنّ في عقيدة الإنشاديّ ؟.

الإنشاديّ هو الفرد المشتغل بالإنشاد، سواء كان متفرّغا أو ممارسا له في أوقات فراغه، و لا يمكن للإنشاد أن يتقدّم إلاّ إذا تحرّك هذا الإنشاديّ، فهو وليّه و صاحبه.

إنّ طبيعة التّحرّك تقتضي وجود عناصر مهمّة جدّا تحدّد الهويّة العامّة، و تضع معالم واضحة متّضحة يُعرف بها الإنشاد، بعيدا عن كلّ شبهة أيّا كان نوعها، أو مشكلة تهدّد العائلة الإنشاديّة في المستقبل.

و لو زعمنا أنّ الفرد الإنشاديّ غير مهمّ على ضوء المعرفة المرسلة التي تنظّم كلّ شيء؛ و الإنشاد يدخل تحت هذه الأشياء؛ ما كان من الصّواب هذا الرّأي، لأنّ المعرفة المرسلة كلّها تركّز على الإنسان ككائن يعيش في الدّنيا، له واجبات و حقوق تجاه الله الخالق ربّ الوجود، و تجاه الآخرين ممّن و ممّا يكوّنون هذا الوجود، إذن فالإنشاديّ في هذه الحالة لا يعدو أن يكون من الوجود، و لكن الإنسان أولى، و كلّ شيء في الوجود مسخّر لخدمته، و لنكن صريحين في هذا الموقف، بتبنّينا لفكرة مفادها أنّ الإنسان مسؤول عن أنشطته، و لتختلف هذه الأنشطة كيفما شيء لها أن تختلف، و لتتوسّع و تتشعّب و تتعقّد وفق الدّوائر المعرفيّة المتداخلة، و لنركّز على الإنسان في صورته الإنشاديّة، إنّه الأصل في الصّورة، و الكلّ سواه فروع و ظلال.

من غير المعقول و لا المنطقيّ أن يكون محرّك الأنشطة الدّنيويّة عابثا، عشوائيّ التّفكير، كلّ ريح تهبّ تؤثّر عليه، و بناء على هذه القاعدة الرّئيسة؛ فإنّ للإنشاديّ مجموعة أفكار يتّخذها عقيدة له، يتحرّك بها أثناء مسيرته الإنشاديّة، تحدّد الهويّة العامّة له و لنشاطه.

ليست للوجود قوّة ذاتيّة، فهو يستمدّ قوّته على تنوّعها من الله ربّ كلّ شيء و خالقه، إنّه هو الله أصل القوّة و الطّاقة، و لو سحب عزّ و جلّ قوّته عن وجوده؛ لزال كلّ شيء، و لا يبقى غيره، سرمديّ أبديّ، و ما للوجود من سبيل إلاّ الاتّصال بأصل القوّة المطلقة، و هذا ما ينبغي على الإنشاديّ إدراكه جيّدا، إنّ عقيدة الإنشاديّ الدّينيّة ركن ركين، و جزء لا يتجزّأ من حقيقة وجوده، و ما الدّين عند الله سوى الإسلام، الدّين السّماويّ الثّالث، خاتمة كلّ الأديان، و إذا تأمّلنا في جوهر الدّين لوجدناه عبارة عن عبادة أوّلا و قبل كلّ شيء، عبادة نخصّ بها الله أصل الوجود بصفة كليّة، بطرق محدّدة من المعرفة المرسلة، و محصور عليها الشّكل و الإيضاح.

إضافة إلى العبادة؛ المعاملات المختلفة و ما تنطوي عليه من أبعاد كالأخلاق مثلا، تجاه الوجود من إنسان و حيوان و نبات و جماد و ما شابه.

من الدّين ينطلق الإنشاديّ إلى نشاطه المتمثّل في الإنشاد، ليجعل منه مظهرا من مظاهر الدّعوة إلى الله، يدعو النّاس إلى الطّريق المستقيم، دعوة حبّ في الله و جهاد فيه، و ما للدّعوة أن تنجح إذا لم تكن قائمة على أسس سليمة، و أفكار مدروسة، و خطوات مشهود لها بالتّأنّي و الرّفعة و التّميّز و المتانة.

إنّ الفكرة لتعدّ مبدأ من مبادئ الدّعوة، و ما من خطر يهدّد هذه الأخيرة مثل العشوائيّة، و العجلة، و عدم تقدير العواقب، و لهذا كانت العقيدة الفكريّة في الإنشاديّ عقيدة متجذّرة على غرار العقيدة الدّينيّة، و ليست العقيدة الفكريّة عقيدة مستقلّة بذاتها كما يؤمن البعض؛ و إنّما هي جزء من العقيدة الدّينيّة، تمّ التّركيز عليها فذُكرت لأهمّيّتها من جهة،

و لضرورة وجودها ظاهرة للعيان من جهة أخرى، و لا نقول أبدا أنّ عقيدة الإنشاديّ الدّينيّة لا تكفي جوهرا، فهذا معناه أنّ ديننا ناقص، و حاشى لله أن يكون ما أنزل خاتمة يشوبه نقص أو عيب أو خطأ.

من الدّين أوجدنا الفكرة، و من الفكرة نوجد الفنّ، و ما يُعدّ ذلك عجيبا على الإطلاق، فالإنشاد فنّ غنائيّ دينيّ يتناول مظاهر الحياة الدّنيا و الحياة الآخرة من منظور إسلاميّ، و هو فنّ مستقلّ عن غيره من الفنون، حتّى تتميّز شخصيّته و تتّسم بما يضمن تميّزه كدعوة فنيّة، و لكلّ شيء أصل و منهج و هدف، إذن فالإنشاديّ محرّك النّشاط فنّان، يعبّر عن الجمال بالجمال، مهمّته تبليغ الدّعوة إلى الله الواحد الأوحد نبع القوّة المطلقة، فكيف لهذا الفنّ أن يقوم بمهمّته إذا لم يكن فنّا مستقلاّ بنفسه، و علما من مجموعة علوم متداخلة تنظّمه ؟.

هنا نرى من الواجب أن نتطرّق لدور الفنّ عموما في الدّعوة الفنيّة، و الإنشاد بصفة خاصّة، إنّه الأصل لأنّ الإسلام هو الأصل، و هو البديل، لأنّ الخارج عن الإسلام سواء كان عاصيا أو كافرا؛ لا بديل لحالته إلاّ الأصل.

الله جميل يحبّ الجمال، و الأنفس البشريّة التي يحاول الإنشاديّ دعوتها تحبّ الجمال، و مفطورة عليه، تهفو إليه و تتطلّع.

الإنشاد كفنّ غنائيّ مستقلّ بنفسه و علم قائم بذاته؛ يجب على الإنشاديّ حمايته من التّميّع، و سواء كانت آلات العزف الموسيقيّة حلالا أو حراما؛ فليست من عناصر الإنشاد، إن كانت محرّمة؛ فالإنشاديّ بعقيدته الدّينيّة ينأى عن كلّ محرّم، حتّى لا يبتعد عن نبع القوّة المطلقة، و إن كان جائز استعمالها؛ فهو في فنّ التّغريد، و ليس في الإنشاد، حفاظا على شخصيّته من الانحلال، كلّ شيء إلاّ و له أثر في هذا الوجود، و من غير السّليم أن نستعمل آلات العزف الموسيقيّة و لو بكميّة قليلة جدّا لا تظهر، زاعمين أنّ ذلك لا يؤثّر على فنّ الإنشاد سلبا، و من يحدّد القلّة ؟، ضبابيّة الحدود تجعل من الصّعب جدّا الوقوف عندها.

الابتعاد عن القوّة المطلقة يكون بعدّة أوجه، كفرا أو إهمالا أو تعصّبا و مغالاة، و المتعصّب شخص جانب الصّواب، و شذ عن قاعدة القوّة، فما يلبث أن تزداد متاعبه شيئا فشيئا، و يضعف و يتملّكه الخور، فالإسلام دين وسط لا يغالي فيه شخص إلاّ هلك، و الفكرة رؤيتها الزّاوية، إذا تطرّفت فيها زغت عن الحقّ، و ماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال ؟، و التّطرّف في الفنّ يدخل الإنشاديّ في متاهات فنون أخرى، لا يفقه فيها شيئا، فيكون أداة جامدة في أيدي آخرين، و معول هدم في الإنشاد، يخلط بين ميدانين على الأقلّ، فيدمّر بنيّة البناء.

إنّ الاعتدال مجال حيوي، يضمن بقاء الإنشاد و استمراريّته، و هو مكان استراتيجيّ يحافظ على القوّة المكتسبة، و يستزيد منها.

4 - الثورة الإنشاديّة صورة ترقويّة للنّهضة الإنشاديّة في حين أنّ هذه الأخيرة ما هي إلاّ الصّورة الابتدائيّة للثورة، فكيف يمكن الاستفادة من كلتي الصّورتين ؟.

تتنوّع الحركات الإنشاديّة العالميّة و تنقسم إلى 3 أقسام رئيسة : " فان "، " المقام الجديد "، " البراعم "، لعلّنا هنا يمكن أن نغضّ الطّرف عن حركة " البراعم " مؤقّتا لما تهمله هي، مركّزة على النّاشئة، و نحصر موضوعنا قيد الدّراسة في عنصرين هامّين؛ " الثّورة " و " النّهضة "، و ما يربط بينهما من علاقات، متجنّبين صراعا يعتقده البعض متمكّن الحدوث بين حركتين متناقضتين في الظّاهر، إلاّ أنّ الواقع أثبت العكس تماماً.

تتغيّر المجتمعات بناء على الأفكار التي يعتنقونها، بغضّ النّظر عن أصلها، فهي المحرّك لعالم اللاّ أفكار، أي ما سواها من الموجودات، و الأفكار تنمو بالاشتقاق و الانقسام، و تتوالد بسرعة كبيرة جدّا، بناء على قاعدة الفعل و ردّ الفعل.

إنّ تأجّج عالم الأفكار يدفع إلى تزاحمها و خروجها إلى الواقع، الذي يلعب دورا لا يُستهان به في التّأثير عليها، و ما نموّ عالم الأفكار بالصّورة المذكورة إلاّ مرآة تعكس نهضة فكريّة تميّز الأفراد و الجماعات، و تقدّم قراءات ذات دلالات عميقة لما يُستشرف حدوثه.

إذا كان هذا مفهوما من النّاحية النّظريّة؛ فهل يمكن اعتبار الثّورة الفكريّة نهضة ذات نكهة أقوى ؟.

يتماشى النّهضويّون مع الواقع الإنشاديّ على اعتباره معنيّا بهزّات بسيطة متتالية لا تُلمس آثارها، أي ديناميكا بطيئة، تحرّك السّاحة شيئا فشيئا نحو التقدّم و الرّقيّ و الازدهار، و رغم أنّ هذه الخطوة عادية جدّا، إلاّ أنّ الثّوريّين يستعملونها أيضا بقدر عام متواصل، متّخذين منها أداة لتنشئة الأجيال الإنشاديّة على أفكار جديدة، مستغلّين الوضع

الفكريّ العالميّ، من أجل بناء نسق فكريّ شامل هو صورة التّغيير الجذريّ التي يطالبون بها، و لو أنّ المطالبة أخذت شكلا مباشرا؛ لكانت فتنة بين أوساط الإنشاديين، حيث أنّها ستحدث شروخا و تصدّعات وسط العائلة.

إنّ أيّة فتنة فكريّة تمثّل عاصفة من الأفكار المتناقضة، و بطبيعة الحال فنموّ الأفكار الخاضع للاشتقاق و الانقسام، نموّا يحمل بين ثناياه تضادّا معيّنا؛ يمكن توجيه عمليّات التّوالد نحو هدف مشترك، باستعمال عدّة تقنيّات كالتّوجيه عن بعد، لامتصاص كلّ أثر سلبيّ قد يشكّل ضغطا يتسارع عبر الزّمن خاصّة.

ما ذُكر سابقا عمل نتلافى به صراع الأجيال، و لكن لنبحث عن جوهر هذا الصّراع، إنّه الاتّجاهات الفكريّة العامّة الرّافضة لما قبلها.

إذن أصحاب حركة " فان " قد يغذّون صراعا بين هذا الجيل و الجيل السّابق، ما مدى صحّة هذا الرّأي ؟.

تؤكّد حركة " البراعم " أنّ هناك صراعا خفيّا بين الأجيال الإنشاديّة، لا يظهر، يرجع إلى السّتاتيكا العقليّة التي تميّز أفراد هذه الأجيال، و عليه فإنّ الصّراع شيء يمكن القضاء عليه، إذا توسّعت العقليّات، فيصبح تكامل الأجيال بدلا من صراعها.

ينشأ صراع الأجيال من الاختلالات التّربويّة للأفراد، و كلّ تصحيح للاختلال ما هو إلاّ لبنة تُسدّ من ثغرة الصّراع المحتمل.

صراع الأجيال نوع من الدّيناميكا غير المحمودة، نظرا لما يشكّله من خطر على المجتمع، و قد يراه البعض مفيدا لما يفرزه من طاقات، و لكنّ الوضع الاجتماعي شيء لا يمكن تركه للأطفال.

تتغيّر المعايير التي يؤمن بها النّاس طبقا لاعتقاداتهم، و إذا كان الدّين هو أسلم اعتقاد لدينا نحن المسلمون؛ فإنّه أنقى معيار يمكن للكائن البشريّ اتّخاذه كمرجعيّة، و لا شيء أخطر من مجتمع مستقرّ بشكل سلبيّ جدّا، جامد جمود الجليد، لا يقبل التغيير رغم أنّ الوجود في حالة تغيّر، هو الهدوء الذي يسبق العاصفة، وإذا هبّت رياح التّغيير فهل من ضامن أن تكون رحيمة بالإنشاديين ؟؟؟.

متى تتحرّك الأجيال الإنشاديّة ؟، سواء تحرّك تكامل أو تحرّك صراع ؟.

تتحرّك الأجيال الإنشاديّة عندما تصبح الضّغوط الفكريّة في درجة تشبّع كامل، و عليه فإنّه يمكن كبح جماح هذه الأجيال إذا منعنا وصول الضّغط الفكريّ إلى درجة التشبّع، معنى هذا الكلام أنّ التّنمية الإنشاديّة لا تنجح إذا لم يهضم الأفراد الأفكار التّنمويّة، أي أنّ الصّراع الذي يُخشى حدوثه؛ لا يمكن له أن يحدث إذا لم يصل مستوى الضّغط الفكريّ إلى درجة الغليان، فلا خوف بالنّتيجة من شيء خطير يُتحكّم فيه جيّدا، يتمّ تفريغ الضّغط عندما يصل إلى مرحلة قريبة من درجة التّشبّع.

إنّ مبدأ الارتقاء الحيويّ ليدعو إلى استعمال و توظيف كلّ شيء يتواجد في محيط الإنشاديّ وفق ما يفرضه المناخ العام من تحوّلات، تعكس حركيّة الوجود في إطار الزّمكان، و عليه فكلّ ثورة هي نهضة، أمّا هذه الأخيرة فقد تكون ثورة كما يمكن أن تكون غير ذلك.

5 - الجمهور أمانة في أعناق الإنشاديّين، حلّل و ناقش.

يأخذ الجمهور مساحة اعتباريّة هامّة عند روّاد الفنون الغنائيّة، كيف لا و هو المستهلك لمنتجاتهم ؟، و المستقبل لرسائلهم ؟!، و لو لاحظنا جيّدا؛ لوجدنا أنّ الجمهور مكوّن من مجموعة من الأفراد، لا يعرفون بعضهم البعض جميعا في جلّ الحالات، تحكمهم قوانين اجتماعيّة، وضعيّة و إلهيّة، تختلف درجات الاستجابة لديهم مثلما يتغيّر عددهم صعودا و نزولا.

إنّ اختلاف الفنون الغنائيّة من نواح كثيرة؛ جعل من تصنيفها أمراً ضروريّا، كما يجعل من دراسة أيديولوجيّتها شيئا مثيراً في حدّ ذاته، كونها لا تعدو تعبيرا ثقافيّا لدى الشّعوب، و انعكاسا لتفكيرهم، و مؤشّرا لمدى المستويات العقليّة التي بلغوها، من هذا يمكن لنا استنتاج لعب الفنّ الغنائيّ دورا من دورين، إمّا ينتج الجديد فيساهم في بناء حضارة؛ أو يعيد الإنتاج فيبقي على الوضع في حالة ستاتيكيّة، رغم أنّه في الواقع يساهم في تأخير المجتمعات، و ما البقاء في صورة جامدة سوى بعد آخر لعمليّة التّراجع، يلعب الزّمن دورا جوهريّا فيها.

تأخّر أيّ مجتمع إنسانيّ معناه اندثاره مهما تأخّرت الضّربة القاضية، التي تقضي على إرثه الحضاريّ و ثقافته و أنشطته المختلفة، و إذا كانت عمليّات ذات صبغة فنيّة هي التي تزلزل أركان المجتمع؛ فالقضيّة أخطر ممّا يُتوقع لها،

و لا يستهان بها على الإطلاق، من الحماقة تجاهلها، أو إغماض العينين عن آثارها.

هل يلاحظ المجتمع الإنساني مؤشّرات اندثاره ؟، هل يملك هذا المجتمع القدرة على التّمييز بين الضّار و النّافع ؟، و هل يدرك جوهر سعادته في هذا الوجود ؟، أم أنّ ذلك يُعدّ من الأشياء التي لا تتحقّق ؟، فيدفعنا دفعا حتميّا إلى التّفكير في ميكانيزمات فعّالة للرّقيّ به، و كأنّه طفل صغير لا يقدّر أسباب وجوده، و الأدهى و الأمرّ من كلّ هذا؛ إذا كان سيضع يده في النّار، و سيبتلع أجساما غريبة، غير مقدّر عواقب أفعاله البتّة.

يعاني الجمهور من مشكلة الوعي، أي أنّه لا يقدّر أسباب سعادته، و لا عوامل تقدّمه، إذ تغلب على أفراده النّزعة الفرديّة، و ما يدور في فلكها من متطلّبات تذهب إلى حدّ الأنانيّة و الحسابات الشّخصيّة الضّيّقة، لا يستعمل عقله في تحليل المواقف العامّة بما فيه مصلحة الجميع، بل ينظر إليها من زاوية حادّة، بناء على ما يحصل عليه من مكاسب، و حتّى و إن أراد فرد ما التّميّز محاولا تحقيق سعادة الكلّ؛ فهو غير مدرّب على مثل هذه الأمور، التي تعدّ شائكة لدرجة أنّ الذين يبرزون كقادة؛ يدمّرون كلّ ما يعترض طريقهم، من أجل الوصول إلى ما يحلمون به، و سواء كانت أهدافهم قابلة للتّحقيق أم مستحيلة التّطبيق؛ فإنّ السّالك طريقا له اعتقاده الخاص أنّه سيوصله لمبتغاه؛ لن يأبه بما سيعلق بملابسه من بقايا أشواك و حشائش نمت على اليمين و اليسار بشكل عاديّ في الطّبيعة.

إنّ المشكلة الرّئيسة عند الجمهور أنّه يصغي لعواطفه و مشاعره و أحاسيسه، و يصمّ أذنيه عن صوت العقل، فلا عجب مطلقا إذا قاده هواه إلى ما لا تسرّه عقباه، ينقصه الرّشد و الفعل الحكيم، فيتكلّم و يثرثر مستهلكا معلومات لا يرى أوجه الفرق بينها، و يلوك كلمات لا يدرك كيف يقلّ الاتّفاق بين معانيها شيئا فشيئا، كلّما فسح المجال لعواطفه لتنال من قراراته، سيتّجه لا محالة إلى ما يضرّه مبتعدا عمّا يفيده، بل و تصل الدّرجة إلى مقت الأمور الخيّرة، لا لشيء سوى لأنّها لا تحقّق له رغباته المتنامية سلبا، في كلّ اتّجاه و بكلّ مقدار.

إنّ اختلاف المستويات العقليّة و الاستعدادات النّفسيّة للجمهور؛ يجعل من انقسامه إلى طبقات و فئات حتميّة لا مفرّ منها، و لكنّه من خطّ الانطلاق الذي يرسمه لنفسه؛ لا يرى في هذا التّقسيم سوى مظهرا جليّا من مظاهر الظّلم و القسوة و الإجحاف، يجادل ثرثرة، غيرة و حقدا، سفهاؤه و رعاعه أكثر من نخبته و رشدائه، يرون في التّنظيم قيودا ينبغي التّخلّص منها بأيّة وسيلة كانت.

هل يستطيع الجمهور الوصول إلى حقيقة الأشياء ؟، مستحيل أن يتحقّق هذا، كيف يتأتّى لمن تنعدم لديه الوسيلة السّليمة النّاجعة أن يصل إلى غاية راقية سامية سموّ الفكرة التي لا يعرف منها سوى الصّورة الخياليّة التي تقف عاجزة عن التّجسيد ؟.

و إذا افترضنا أنّ ذلك ممكن تحقيقه؛ فلماذا أرسل الله الأنبياء و الرّسل ؟، و خصّ كتابا من لدنه يحوي 60 حزباً جعله خاتمة الكتب السّماويّة، نسخ به كلّ شرائع السّماء ؟، و أرسل رسولا من عنده اصطفاه ليكون أقوى الرّسل و أعلاهم، مبعوثا لكافّة الشّعوب و الأمم على تباين ألوانهم و ألسنتهم ؟.

ليس هذا فحسب، بل إنّه عزّ وجلّ أمرنا أن نبلّغ دينه و لو بآية للذين يحكمهم الجهل أو الغفلة، و ما هذه سوى دعوة للناس إلى الحقّ، دعوة تتّخذ أشكالا و أثوابا متفرّقة في المظهر، واحدة في الجوهر، و الفنّ عموما شكل من أشكالها، لهذا حملت اسم " الدّعوة الفنّيّة "، تبليغ النّاس عن طريق الفنّ، و بما أنّ الفنّ بحر يتّسع؛ فلا يمكن للإنسان بضعفه أن يلمّ بمائه و لو بدا له ذلك، إنّ الاختصاص سرّ من أسرار الجماعة العالميّة، و سنّة من سنن الله في الطّبيعة، تبرهن على ضعف هذا المخلوق، ضعفا نقلّل من هامشه بالارتباط بالقوّة المطلقة، غير أنّه يبقى ضعفا ثابت الصّفة في النّهاية لا يتلخلخ.

شتّان بين القوّة و الضّعف، بين الغنى و الفقر، بين السيّد و العبد، بين المالك لكلّ شيء و المفتقد لكلّ شيء.

ارتباط الإنشاديّ بالله نواة وعي و سبيل حكمة لا يضاهيها سبيل، مأمور أن يوصل ما هو مأمور بمعرفته إلى من هم مأمورون بالبحث عن الحقيقة، و هنا تنشأ فكرة القيادة غير الرّسميّة، قيادة تستدعي الإلمام بما هو واجب على القائد أن يلمّ به، كالتّقوى و العلم.

احذر أن تكون خائنا للأمانة.

احذر أن تهمل تربية هؤلاء الذين هم بحاجة إلى مبصر يقودهم لبرّ الأمان، فلتكن كالأب الرّحيم بأولاده.

6 - " الفتنة أشدّ من القتل "، ما علاقة هذه العبارة بالإنشاد ؟.

إنّ الخطر النّاشئ عن الفتنة أكبر من الخطر النّاشئ عن القتل، فلو اطّلعنا على الأسباب التي تدفع بالفتن إلى الواقع؛ نجد أنّ هناك سببين رئيسين، أحدهما على مستوى العقل المنتج للفكرة؛ أمّا الآخر فعلى مستوى العقل المتقبّل لهـا، و يمكن لعالم الأفكار أن يتحكّم في عالم اللاّ أفكار، و ما يقاس على هذه المعادلة قد يفضي إلى القتل، سواء كان داخل الجماعة الواحدة؛ أو بين جماعة و غيرها، إفضاء يعمّه الخوف و الهلع و القلق و الوساوس.

و عمليّات القتل داخل الجماعة العالميّة عمليّات منظّمة كإقامة الحدّ مثلا، و عليه فكلّ إنسان يعيش في أمان، لأنّ القتل هنا يد تحمي الجماعة، و لا يمكن أن يُقتل شخص ما إلاّ إذا اقترب من خطوط حمراء تدمّر المجتمع، أمّا القتل الخطأ فلا نتكلّم عنه هنا.

أيّة فكرة يمكن أن تؤدّي إلى فتنة، لأنّ العقول البشريّة متفاوتة قوى الإدراك و الاستيعاب، إذ تكون القوى الخمسة أدوات تحريك اجتماعيّة، بغضّ النّظر إن كانت الفكرة صحيحة أم خاطئة، أمّا مخّ الفتنة فهو ردّ الفعل النّاتج عن الفكرة المطروحة.

تنقسم الأفكار إلى قسمين؛ أفكار ثابتة لا تتغيّر، إن قبلت المناقشـة لن تقبل الرّفض، و أفكـار متغيّرة عبر الزّمــن و المكان، تخضع للقيمة المنطقيّة.

تضع حركة " فان " الفتنة في خانة اعتباريّة واسعة على عكس حركة المقام الجديد، فالأولى تنادي بالثّورة الإنشاديّة، و الثّورة هي التمرّد على السّوابق من الأفكار، قد لا يقبلها الإنشاديّون هكذا دون مقبّلات، إذن ستحدث هذه الأفكار فتنة، و الأسلم للجميع أن تُقحم في الميدان شيئا فشيئا، مع دراسة استشرافيّة لها، أي الاحتمالات النّاشئة عن آثارها في الجماعة العالميّة.

و أصحاب حركة المقام الجديد يعتقدون أنّ هزّات خفيفة تنبيهيّة تساهم مساهمة فعّالة في ترقية الإنشاد، فتجنّب حدوث فتنة، و ما ينجرّ عنها.

بناء على هذا يلاحظ المراقبون أنّ هناك اختلافا بين تحرّكات الحركتين، فالمنتمون لحركة " فان "، أو ما يُعرفون باسم الثّوريّين؛ ذوو أفعال إنشاديّة قليلة، يقيمون لفعلهم ألف حساب، و يحاولون استشراف ما سينتج عنه من نتائج استشرافا دقيقا، مصلحين ما قد ينحرف عن مساره الصّحيح لاختلاف درجات التّفاعل مع الفعل.

إذا كان القتل عبارة عن إزهاق روح؛ و يمكن جدّا أن تتوفّر فيه استراتيجيّة الحفاظ على الجماعة العالميّة؛ فإنّ الفتنة قد تخرج الفرد إلى ظلمات فكريّة تجذب الآخرين إليها، و تدفعهم دفعا إلى اقتراف أفعال سلبيّة، لأنّ تفاعلهم داخل الجماعة العالميّة الذي من المفروض أن يكون تفاعلا سليماً و إيجابيّا؛ تحوّل إلى تفاعل سلبيّ سقيم الآثار، له من الشّقاء أكثر ممّا له من النّفع و تحقيق السّعادة، و مصيبة ما بعدها مصيبة إذا كان البنّاء هو من يهدم كلّ شيء في النّهاية.

مـا رأيك لو كان هـذا البنّاء من العائلـة الإنشاديّة، يستعمـل آلات العـزف الموسيقيّـة، و يهمل اللّغـات الآكاديميّـة و خاصّة لغة القرآن الكريم ؟، له فكرة لم تصل بعد إلى مرحلة النّضج يتحرّك بطاقتها ؟، و في طريق لا يرى فيه السّائر شيئا أبعد من خطواته ؟.

ليس ذلك غريباً ... لو كنت ممّن يدقّقون النّظرة.

7 - ما قيمة التّجربة الشّخصيّة في الفكر الإنشاديّ الحديث ؟.

ينطلق الفكر الإنشاديّ الحديث عن عمر لا يزال في مرحلة مبكّرة إلى هدف له من الجوهر ما يوجب الاعتناء بالمظهر، و إن كانت العقيدة الإنشاديّة مركّبة من ثلاثة أجزاء تركيبا إظهاريّا؛ تسليحاً للإنشاديّ بغية التّحكّم في ميدانه؛ فإنّها تقف جنبا إلى جنب مع المعرفة في ترقية الإنشاد كفن مستقلّ بنفسه و علم قائم بذاته، و لا يمكن بأيّة حالة من الحالات أو صورة من الصّور الاستغناء عن نوع من أنواع المعرفة، إذ أنّ العلاقة بينهم علاقة تكامليّة، تفرضها طبيعة الحياة الدّنيا، ليس من أصلها؛ بل لأنّ الله أراد لها أن تكون هكذا على هذه الصّورة الموصوفة.

يقوم الفكر الإنشاديّ الحديث على العلم الذي هو مجموعة دوائر معرفيّة متداخلة، إلى جانب الاتصال بالقوّة المطلقة، و ما العلم سوى تنظيم محكم وضعه الله في الوجود، فأرسل معرفة تمثّلت في كتابه الكريم و سنّة رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و العترة الطّاهرة و صحابته المقرّبين، و أخرى تجارب شخصيّة تتراكم و تتراكم لتمثّل المعرفة

المتراكمة.

و لكن تشابه الظّروف أدّى بالبعض إلى اعتبار التّجربة الشّخصيّة واحدة عبر العصور و الأزمنة، و المكان أيضا، صورة واحدة تتكرّر، و ما ذلك بصحيح على الإطلاق، حيث أنّ التّجربة الشّخصيّة الواحدة تمتدّ إلى المعرفة المتراكمة، فنجد أنّ هذه الأخيرة تقف عند حدّ معيّن، فهي الاحتياط المحدود المستنفذ.

إذن التّجربة الشّخصيّة للإنشاديين تلعب دورا مهمّا جدّا في الفكر الإنشاديّ الحديث، فما هي القيمة الفعليّة لها ؟.

يقدّم الإنشاديّون باختلاف اختصاصاتهم خبرات لغيرهم في أشكال تختلف عن بعضها البعض، غير أنّها تشترك كلّها في مبدأ التّربية، بتوريث الأفراد زادا معرفيّا قائما على 3 ركائز متنوّعة، الرّكيزة الثّالثة في تجدّد دائم و مستمرّ، و بتجدّدها تتجدّد الرّكيزة الثّانية، و تختلف خبرات الإنشاديّين باختلاف نظراتهم للأشياء و مستويات عقولهم، في حين يستوون جميعا أمام اكتشاف سنن الوجود بغية الاعتماد عليها في تجاربهم الشّخصيّة، دون أن نلغي قيمة التّجربة بناء على أسس وضعيّة خاطئة، بيد أنّ ذلك يُعتبر مضيعة للوقت، و خروجا غير محمود العواقب عن الأصل.

إنّ تراكم التّجارب الشّخصيّة و تدوينها لتصبح من التّراكم المعرفيّ؛ يؤدّي بنا إلى فكرة أخرى، فهذا التّكتّل سيكون تراثا بصورة أشمل، و هو ملك يخصّ الجماعة العالميّة، أي تراثا إنسانيّا يخدم الكائن البشريّ الذي خلقه الله لغاية محدّدة.

و التّراث لا يمكن دائما أن يكون في صورة إيجابيّة، فهل كلّ ما ينتجه الإنسان يدخل في حيّز النّفع أكثر من المضرّة ؟، طبعا الإجابة محصورة بين نعم و لا، و عليه فالإنشاديّ حريص على إبداء تراث إيجابيّ أمّا ما خالف هذا؛ فهو عورة ينبغي سترها ... **إلاّ أمام الطبيب.**

التراث هو إنتاج مشترك بين النّاس، إرث حضاريّ ينبغي صونه من النّسيان و الإهمال و الضّياع، فيه ما فيه من الإيجابيّات و السّلبيّات، فالتّجربة الشّخصيّة تحمل قيمتي الإيجاب و السّلب، فلنتعلّم من تجاربنا تعلّما يدعّم المعرفة المرسلة في قلوبنا و عقولنا.

8 - هل أخطأ الفقهاء عند إصدارهم فتوى تبيح استعمال الموسيقى في الإنشاد ؟.

تعدّ فتوى جواز استعمال آلات العزف الموسيقيّة في الإنشاد أهمّ حدث ميّز السّاحة الفنيّة مطلع القرن 21، بعدما كانت الرّؤية الفقهيّة قائمة على حكم التّحريم أو الكراهة، فانطلق المنشدون و الفرق في مسيرتهم الجديدة يحذوهم أمل عميق الصّدى في تطوير النّشيد و الأنشودة و الوصول بها إلى العالميّة، و خاصّة عندما أصبح هذا الطّموح حلم الإنشاديّين بكافّة أطيافهم و تنظيماتهم، و أصبحت مرادفا للشّهرة و المصداقيّة.

كانت بعض الفرق تستعمل الموسيقى نهاية القرن 20، إلاّ أنّ الظّاهرة كانت في حدود ضيّقة، لم تأخذ صدى إعلاميّا كالذي أخذته في السّنوات العشر الأوائل من القرن 21، بسبب انتشار فكرة العولمة، و شموليّة الفكر الإنسانيّ، فكانت عدّة ردود أفعال، منها ما هي دينيّة لم يقتنع أصحابها بفكرة الجواز، و منها ما هي فكريّة؛ يمثّلها أصحاب مدرسة الاختصاص، الذين غيّروا النّظرة السّطحيّة للفنّ إلى نظرة فلسفيّة تبحث في الحكمة، و في أصل الأشياء للوصول إلى الحقيقة.

اعتبرت مدرسة الاختصاص التي يضعها الملاحظون في خانة الحركات الفكريّة الفلسفيّة أنّ ما قام به الفقهاء من اجتهاد لا يمكن لها أن تردّ عليه، فهؤلاء رجال دين لهم هيبتهم و مصداقيّتهم و باعهم الطّويل في العلم الشّرعيّ، إذا أصدروا حكما يتحمّلون مسؤوليّته أمام الله، ناهيك عن أنّ الجواز من عدمه مشكلة شائكة، يتقوّى كلّ رأي بأتباعه، و لكنّها نظرت إلى القضيّة نظرة عقليّة إضافيّة، و بحثت فلسفيّا في المسألة كما بحث فيها الفقهاء، فوجدت أنّ الإنشاد ينقسم إلى قسمين :

1 - النّشيد : عبارة عن فرع لا يستعمل آلات الإيقاع إطلاقا، إنّما يقتصر على الأصوات البشريّة فقط، لخلفيّة أصحابه المختلفة المشارب.

2 - الأنشودة : فرع كذلك في الإنشاد، تُستعمل فيها آلات الإيقاع المختلفة، و ليس الدّف فقط، لأنّ آلات الإيقاع تختلف من منطقة لمنطقة حسب ثقافة المجتمع، و لكلّ شعب آلاته الخاصّة به، فلا يمكن أن نفرض عليه آلة إيقاعيّة معيّنة.

أمّا ما يُستعمل فيه من آلات عزف موسيقيّة من كمان و عود و ناي ... ؛ فهو فنّ غنائيّ لا يمكن لها أن تتدخّل فيه، لأنّها لا تفقه غمـاره الفلسفي، فلو قالت أنّه فنّ غنائيّ دينيّ؛ لعارضـت الذين يقولـون بحرمة استعمـال آلات العــزف، و لأعطت القضيّة نظرة خاطئة، إذ كيف يُعقل أن يُستعمل في الدّين ما هو محرّم ؟؟؟.

على هذا الأساس؛ تمّ الأخذ بالقاعدة الفلسفيّة " كلّ شيء إلاّ و له أثر "، مجدّدا، بعدما أُخذت في الإنشاد، و قُسّم على ضوئها إلى فرعين، و لكنّ القضيّة خرجت عن دائرة النّشيد و الأنشودة إلى فنّ غنائيّ مستقلّ بنفسه، و علم قائم بذاته، يسمّى اصطلاحا " فنّ التّغريد ".

إذن فنّ التّغريد مولود جديد ساهم الفقهاء في إخراجه للحياة، و لو أنّه الآن في نظر البعض شابّ يافع، وُلد منذ مدّة طويلة، في عزلة إعلاميّة لم يسمع به أحد سوى المقرّبون فقط.

للإنشاد خصائص و مميّزات و صفات تعطي له نكهة خاصّة عن بقيّة الفنون الغنائيّة و خاصّة الفنون الغنائيّة الدّينيّة المشابهة، و لهذا يجب أن تبقى هذه النّكهة قائمة موجودة، لا تضمحلّ و لا تختفي.

هل يعقل أن يوجد الله شيئا في الوجود ليس له أثر على هذا الوجود ؟.

هل يعقل أن يخلق الله شيئا هكذا دون أن تكون من وراء خلقه حكمة مقصودة ؟.

إنّ ما فعله الفقهاء هو نتيجة رؤيتهم الدّينيّة و ليست الفنيّة، فالإسلام عندما أتى جعل اهتمامه يتمحور حول الإنسان خاصّة، يشرّع له ما يضمن له السّعادة في الدّارين، و لم يأت ليصون كرامة الفنون و العلوم على حساب الأصل، و ما دور هذه الأخيرة إلاّ خدمة الكائن البشريّ.

إنّ الحكم على فتاوى الفقهاء بالخطأ أو بالصّواب ليس من اختصاص إلاّ من تحكّموا في هذا الميدان، تحكّما له مصداقيّته عند النّاس، و لكنّ الخطأ العظيم تعطيل التّفكير المكمّل، أي إغفال علم على حساب علم آخر.

9 - تختلف الحركات الإنشادية " فان " و " المقام الجديد " و " البراعم "، في نظرتهم للتربية، ما أثر ذلك على الدّعوة الفنيّة ؟.

تمثّل الحركات الإنشاديّة العالميّة الوعاء الفكريّ و القالب الفلسفي لمدرسة الاختصاص، و تختلف بما تركّز عليه حول ما تجده السّبيل الأمثل اتّحادا، و تتكاثف لخدمة الدّعوة في ثوبها الفنّي، ناظرة إلى التّربية كقاسم مشترك من بين عشرات القواسم المشتركة الأخرى، في هذا التّحليل نعالج نوع الأثر الذي تتركه التّربية في الإنشاد.

ما الدّور الذي تلعبه على ضوء خصائص كلّ حركة من الحركات الثّلاثة ؟.

هدف التّربية الأسمى تنشئة الفرد لعبادة الله وحده، و استغلال كلّ ما في الوجود لأجل هذا الهدف الأسمى و الدّعوة إليه، و التّربية هي التّأثير على شخصيّة الفرد، و لا يمكن لأيّ فرد كان أن يعيش معزولا عنها، مهما كان نوعها، أي أنّه لا وجود لفرد لم يتلقّ أيّ نوع من التّربية، ففي جوهر القضيّة؛ لو ينشأ الطّفل بعيدا عن أيّ مظهر من مظاهر التّواجد الإنسانيّ؛ فإنّه سيتلقّى تربية من محيطه الذي ينشأ فيه، إذن فالتّربية حتميّة من الحتميّات، مناخ مفروض على الإنسان لا يمكنه الخروج منه، و لا يمكنه الخروج عنه، فهو ينتقل من طقس إلى طقس، هذا كلّ ما يستطيع فعله.

بالتّربية تتشكّل لدى الفرد و الجماعة مقاومة تجاه أشياء معيّنة، و تحمل المقاومة أيديولوجيا معيّنة، سواء كانت دينيّة كالحلال و الحرام؛ أو اجتماعيّة يحدّدها الذّوق العام للجماعة، كالالتزام فيها بأشياء كثيرة، و الجماعة ما هي إلاّ جماعة واحدة تسمّى **الجماعة العالميّة**، هي الأساس في هذا العالم، و هي الوعاء الذي يحوي كلّ الجماعات، و ما الجماعات سوى قطع مجزّأة من القطعة الواحدة الكليّة.

تربية الفرد ليست نفسها تربية الجماعة، إذ أنّ الفرد سيفقد صفات و مميّزات إذا انضمّ إلى جماعة ما، و قد يضيق مجاله ليُفسح لأفراد آخرين على قدر ما يمثّلونه في الجماعة، أمّا النّظر إلى الجماعة العالميّة فهو النّظر إلى خصائص مشتركة بين البشر، و وضع الاختلافات الفطريّة و المستويات العقليّة المتفاوتة في الحسبان، في سيرورة تواتريّة دائمة لا تعرف التّوقف.

تنظر حركة " فان " إلى التّربية نظرة ملؤها التّمرّد على أفكار الماضي التي أضحت لا تخدم الإنشاد، فهي تنادي بزلزال فكريّ يعيد تشكيل النّسق التّربوي للإنشاديّين حتّى يواكبوا التّطوّرات العديدة التي يشهدها القرن 21، و تتوالى العمليّات التّربويّة و تتكاثف من أجل تكامل الأجيال الإنشاديّة، و الحيلولة دون تطاعنها بالوشيج من الأفكار، الشّيء الذي تركّز عليه حركة " المقام الجديد " ذات الصّبغة النّهضويّة، التي تمثّل دفعات تربويّة بجرعات صغيرة يكفي تواصلها عبر الزّمن لتشكيل جيل إنشاديّ قائم على التّواصل.

أمّا الدّعوة الفنيّة لدى أصحاب حركة " البراعم " فهي صفحة بيضاء عند الطّفل، و رغم ذلك بما توحي به هذه العبارة من ليونة التّشكيل و سهولة الحبك؛ فالطّقوس التّربويّة تتعدّد فتتكامل و تتناقض، ممّا يجعل الطّفل في مناخ تربويّ شاسع الأبعاد و متعدّد الزّوايا، و كلّ طقس يؤثّر عليه بدرجات متفاوتة، و الصّفحة البيضاء سرعان ما تمتلئ بآثار كثيرة ذات فعاليّات متباينة.

يتلقى الأفراد نمط تربية مكتسبة ممّا يحيط بهم من ظروف عامّة، أي أنّ أيّ فرد كان معرّض في التوجّه العالميّ إلى التّربية العامّة، المتحكّمة فيها عوامل مثل وسائل الإعلام التي توجّه تفكيره نحو قضايا محدّدة، و تعدّ التّربية العامّة خطيرة، لأنّ الجمهور هو الذي يملك فيها التّفاعل، و متى ما تفاعل الأفراد بناء على معطيات خاطئة أو غير ذات أولويّة؛ فإنّهم سيزيدون الوضع تعقنا، ممّا ينذر بهلاك من يعيش فيه.

غير أنّ التربية العامّة التي يذهب الاعتقاد حولها أنّها نتيجة تلقائية لأنشطة التفاعل الجماهيري؛ ما هي سوى مناخ عام مشكّل وفق خطوط فلسفات فكريّة، تحاول توجيه الرّأي العام إلى هدف مطلوب بلوغه بإصرار عظيم.

في مقابل ذلك تتموقع التّربية الخاصّة التي ترقى بأفرادها إلى مرتبة أعلى من نظيرتها، و هذه التّربية هي التي تحاول الحركات الإنشاديّة العالميّة تقديمها جاهدة.

تتحكّم التّربية الخاصّة في التّربية العامّة، فهي على درجة رفيعة من الوعي، و تعمل على نقله إلى كفّة التّربية العامّة، عبر قنوات متعدّدة، كلّ قناة منها تصل إلى مساحة جماهيريّة معيّنة.

10 - " ليست الفرقة مجرّد أفراد التقوا بغية هدف واحد فحسب؛ و إنّما هي شبكة فكريّة مفتوحة، و أفكارهم جميعا تقوم على فكرة جوهريّة تسمّى الاتّحاد، و إلاّ لكانت بيتا زجاجيّا رخو المادّة، لا نستطيع مطالبتهم حينها بالمحافظة على خيوط العنكبوت "، حلّل و ناقش.

تفكّك الفرق الإنشاديّة قضيّة شائكة و بسيطة في الوقت نفسه، فإذا عُرف السّبب بطل العجب، و الملاحِظ يؤكّد وجود عدّة أسباب، ترجع كلّها لسبب جوهريّ واحد يطلق عليه في مدرسة الاختصاص " الفكر الفلسفي القاعديّ ".

مجموعة من الأفكار المشتركة القاعديّة القائمة على العقيدة الإنشاديّة، تجمع بين أفراد الفرقة، هذا هو تعريف الفكر الإنشاديّ القاعديّ باختصار شديد، لو سألت كلّ أفراد الفرقة الإنشاديّة واحداً بعد آخر؛ عن هدفه الذي يرمي تحقيقه؛ لوجدته هدفا واحدا مشتركا، هذا كلام نظريّ، و الواقع شيء آخر.

عالم الأفكار عالم رهيب و عجيب، فكرة واحدة قد تفعل الأفاعيل، و ما ينشأ عنها من أفكار، و ما ينشأ عن الأفكار من أفكار وفق سلسلة حلقاتها الفعل و ردّ الفعل، إنّه عالم يصعب التّحكّم فيه، فما بالك بالسّيطرة التّامة ؟؟.

شبكة الأفكار المفتوحة شبكة يساهم فيها كلّ أفراد الفرقة باختلاف اختصاصاتهم، دون تميّع ارتكازاً على عقيدة تضمن رسوخهم، يقفون جميعاً دون تمييز وقفة رجل واحد، متّخذين من التّربية الدّائمة مفتاحا لبقائهم كتلة واحدة، يخفّف حسن الخلق من مضاعفات الاحتكاك المباشر، و ما ينجرّ عنه من اختلافات رؤى و زوايا نظر، و ما يترتّب عنها بدورها من مشاحنات، و ما يكون من هذا القبيل.

يجد المتأمّل في التّاريخ حوادث تفكيك فرق إنشاديّة كثيرة، منها ما أُجهض في مرحلة مبكّرة حتّى قبل المشاركة الأولى، و منها ما طغى عليه تضارب المصالح، و الانشقاق بادرة الانهيار.

لا نناقش هنا الظّروف الخارجيّة التي تشكّل ضغوطاً على الأفراد؛ إنّما ننظر بعين ملاحظ يدقّق في كلّ صغيرة و كبيرة، ليقع على ما يمثّل سبباً للظّاهرة، و السّرّ موجود في بيت من زجاج يسكن فيه هؤلاء الأفراد، يتعرّض لاحتمالات الكسر يوما بعد يوم، و ساعة بعد ساعة، و دقيقة بعد دقيقة، و ثانية بعد ثانية، أي أنّهم ليسوا في مأمن أبدا، و ما الفرق بين بيتهم و بين بيت العنكبوت سوى أنّ هذا الأخير يظهر ضعف خيوطه للعيان، أمّا هم فيستترون تحت اسم " فرقة " بما توحي به الكلمة من اتّحاد و مصير مشترك و تعاون و هدف واحد.

لقد شقي العالم بما شقي، و سعد بما سعد، بواسطة الأفكار، فهي التي تقود النّاس إلى الخير و الشّرّ، و هي بذور الأعمال.

ترتبط الأفكار بالمستويات العقليّة للأفراد، إذ العقل هو الأداة التي تحلّل الفكرة ليتمّ اتّخاذ موقف تجاهها، و يحدّد العقل الطّبقة المعرفيّة التي يندرج تحتها الفرد أيضا، و تعكس الرّتبة الإنشاديّة هذه الطّبقة المعرفيّة، لتقاس الاحترافيّة بها دون الزّمن، فما الفائدة من منشد قضى 20 سنة في الإنشاد، لا يعرف منهج تدريب الأصوات، لا يعرف المقامات،

لا يعرف النّقاط الموسيقيّة، لا يعرف مفهوم الإنشاد و لا يعي مبادئه الفلسفيّة، كلّ همّه يقع في الجمهور، كيف يجعله يصفّق له طويلا ؟؟.

و العقل في تربيـة دائمـة مستدامة كغيره من المتغيّرات التي تتناولها التّربية، كالجسد و النّفس و الـرّوح .... الخ، و هي محدّدات الشّخصيّة، و لهذا يجب توفّر تنمية لها لا تعرف السّكينة و الرّكون.

الفرقة الإنشاديّة جماعة من الأفراد الإنشاديّين، لكلّ واحد منهم شخصيّته التي ينفرد بها، تتحوّل لتأخذ مسلكاً جديداً إذا كان في الجماعة، و لا يمكن لأيّ واحد أن يظلّ محافظاً على خصائص شخصيّته، و ليكن لديك مثال بسيط حتّى يتّضح لك ما قد تذهب بعيداً لأجله.

إذا كنت في جماعة فأنت ملزم ببعض التّصرّفات، يفرضها حضورك، إذا تكلّم واحد فيجب عليك الإنصات، فإن لم تنصت يجب أن تسكت على الأقلّ و إلاّ فأنت تشوّش عليه بصفة من الصّفات، و لو كنت وحدك؛ تكلّم ما شئت، لتنطبق عليك صفة الجنون، و يشكّ النّاس في سلامة قواك العقليّة.

إنّ ما يتطلّبه موقف الانضمام إلى جماعة إنشاديّة، يجعل من الفرد الإنشاديّ فردا خاضعا لقوانينها الطّبيعيّة، فما رأيك بالقوانين التي تخرج إلى القانون الدّاخلي للجماعة ؟، و تبعيّتها لما فوقها من الجماعات ؟.

لا يمكن لأيّة جماعة أن ترى النّجاح و تلمسه إذا لم تتكامل قوى أفرادها باختصاص كلّ واحد في دوره، و أن يتخلّى كلّ فرد عن جزء من قوّته لفرد له القدرة على القيادة، لأنّ أفراد الجماعة لا يمكن لها أن تبقى هكذا دون قائد يوجّهها دون هدف، فأفرادها في حالتين؛ إمّا أن يحاول كلّ واحد أن يقود الآخرين، فتتصارع القوى القياديّة و تتصدّع الفرقة، أو يبقون ساكنين؛ فتذهب فاعليّتهم في مهبّ الرّيح.

لا وجـود للقيـادة الجماعيّة، هذه فكـرة خاطئة بل مستحيلة التّطبيق، شأنها شأن من يريد محو كلّ الفوارق الطّبقيّـة، و يساوي بين الرّجل و المرأة، و الله قد خلق تفاوتا بين القوى ليحصل التّكامل لا الصّراع.

يُنشئ الاحتكاك المستمرّ بين أفراد الفرقة الواحدة تآلفا و صداقة و عواطف مشتركة تجعل منهم أسرة حقيقيّة متكاتفة، و لكن هذا ما يسمّى " الفرقة الحقيقيّة " فقط، أمّا " الفرقة الافتراضيّة "، و هي التي تتشكّل مؤقّتا لسبب زائل مثل اشتراك منشدين في تسجيل ألبوم؛ أو إقامة عرض مشترك، فتختلف الأنساق التّربويّة لها، و إن بدت في صورة واحدة، و سرعان ما يزول هذا الاتّحاد بزوال سببه، غير أنّ هذا لا يمنع من نشوء خلافات داخلها نظرا لتغيّر طرق التّفكير لديها.

لكن القيادة إذا لم تكن جماعيّة فهي مرتبطة أساساً بفرد له مجموعة من المؤهّلات التي تأخذ له مكانا رياديّا بارزا، و تختلف المؤهّلات حسب اختلاف الأدوار، فإن كان القائد هو فرد امتاز بأشياء أهّلته لقيادة فرقة إنشاديّة؛ فهل يمكن له أن يكون هو مشرف تلك الفرقة ؟، ليست المشكلة هنا، بل في وجود فرد آخر يسمّى " مشرفا "، إذ سرعان ما تنشأ بعض المناوشات الفكريّة بينه و بين القائد بناء على اختلاف المعطيات المتغيّرة من جهة؛ و النّظرة غير المتطابقة تجاهها من جهة أخرى.

لا معنى على الإطلاق لشبكة فكريّة مفتوحة قائمة على الاتّحاد تغيب عنها الرّؤية المستقبليّة، إنّها مسيرة قصير رؤية عبر الزّمن، لا يلبث طويلا حتّى يصطدم بشيء ما، أو يقع في حفرة، و هو ليس في مأمن أبدا من أيّة أفعال ضدّه، لأنّه لا يرى إلاّ ما يحوم حوله على نطاق ضيّق جدّا، و نظرا لعدّة متغيّرات في الوجود؛ فإنّه سيصاب بمكروه.

و الرّؤية المستقبليّة سيرورة بناء على قوانين وضعها الله في خلقه، أي أنّ قوانين الوجود أمر حتميّ لكلّ من لديه رؤية نحو المستقبل، من أجل خدمة الدّعوة الفنيّة بهذه الفرقة الإنشاديّة، كي لا تحدث مفاجآت تعكّر جوّ الخدمة، و ربّما كانت ظروفا مواتية لبذر فتنة من الفتن.

و لكنّ الرّؤية المستقبليّة ليست كلّ شيء؛ فالعقل المتّحد من أهمّ مبادئ الفكر الإنشاديّ الحديث، أي أنّ التوكّل على الله بعد الأخذ بالأسباب عامل حتميّ أيضا، فهو تجسيد للارتباط الذي يكون بين الإنشاديّ و ربّه، كلّ قطيعة مع السّماء أمر مرفوض تماما، لأنّها تناقض قوانين الوجود من حيث أنّ لهذا الأخير خالقا حكيماً مدبّرا هو الأساس في كلّ شيء، إذ لا وجود إلاّ لذاته العليّة، و عليه يعتمد الجميع من المجتمعات الأربعة و غيرها من المخلوقات الشّيئيّة.

لقد أمر الله رسوله بالتّشاور مع أصحابه رغم كونه نبيّا و رسولاً معصوما، فكيف ننكر هذا الأمر مع من يكون لصيق الخطأ ؟، يُفهم من السّياق أنّ الفرقة شبكة فكريّة مفتوحة، عرضة لكمّ هائل من الأفكار التي قد ستنشئ صراعاً بين أفرادها، و لا نتحدّث هنا عن تناقض الأفكار أبدا، إنّما الإشكاليّة في طريقة فهمها المختلفة من فرد لآخر، إذ كلّ واحد له مستوى تفكيريّ معيّن يتكلّم على أساسه، و التّشاور هو تبادل التّفاعل المعلوماتيّ، و لو أنّ البعض يجعل من

الدّيمقراطيّة مرادفا لبيئة التّشاور، حيث تلاقح الآراء و مناقشتها لا يمكن أن يكون ناجحا إذا لم تتوفّر حريّة كتلك الموجودة في الدّيمقراطيّة، غير أنّ مفهوم الشّورى أوسع بكثير و هو حيّ مقارنة بالدّيمقراطيّة؛ القائمة على قوالب جامدة تمثّل أرضيّات خصبة لنموّ صراع جديد متطوّر باستمرار، يعيش في جوّ يُقال عنه ديمقراطيّ، فوضويّ في جوهره، أين يتفوّه الجميع بحماقات و ترّهات يحسبون الحديث عنها حقّا من حقوقهم الشّرعيّة، و آخرون يصيحون بكلمات عاديّة يطلقون عليها مبادئ عليا، غافلين عن كونها عبارات ببّغائيّة تناقض بعضها بعضا، أو أنّها أفكار خياليّة محضة يستحيل تطبيقها في الواقع لأنّها تناقض قوانين الوجود، و يزيد الأعمى عمى إذا اتّجه إلى فرض رأي الأغلبيّة من أصحاب الأهواء و النّزعات غير السويّة.

11 - عرف الإنشاد تطوّراً في بداية القرن 21، إلاّ أنّ هذا التّطوّر لا يعكس التّرقية اللاّزمة التي من المفروض أن يصل إليها الإنشاد كفن مستقل بنفسه و علم قائم بذاته، ما رأيك ؟.

تفرض النّزعة التّطوّريّة معرفة ملمّة بما يعطيها القيمة الإيجابيّة، و يجعل من التّطوّر الذي تريد أن تحققه شيئا سليماً ذا تثمين يقدّره العارفون بميدان فنّ الإنشاد، و تصل اليد إلى الحقيقة الإنشاديّة وصولا يسبقه عالم الأفكار.

يحدّد التّفكير السّليم مناطق يصل إليها الفعل الإنشاديّ، ذات صبغة استراتيجيّة، و حيويّة لديمومة الإنشاد كفنّ مستقلّ بنفسه، و علم قائم بذاته، و إذا انعدم توفّر العلم المنظّم و الفن المستقلّ؛ لم يكن التّفكير الذي ننطلق منه سليما أبدا، حيث أنّه سيوصلنا إلى كوارث، أقلّ ما يقال عنها أنّها ستدمّر النّشيد و الأنشودة.

تغيّرت السّاحة العالميّة في مطلع القرن 21، و تحرّكت القوى الفكريّة تحرّكات عميقة، و طفت العالميّة على السّطح كردّ فعل على العولمة، و أصبح الخروج من المحليّة هاجس الإنشاديّين، و ما تعنيه من تضييق و جمود أدّى إلى البحث عن ميكانيزمات تفي بالغرض، فكانت محاولات عديدة تجسّد طموح هؤلاء، غير أنّ النّظرات القاصرة طغت على الميدان :

1 - ظهـور فتوى جواز استعمال آلات العزف الموسيقيّة و انتشـارها انتشارا كبيـرا، ممّا أدّى إلى تميّع الإنشـاد و ضمور شخصيّته، فالفتوى تخصّ فنّا غنائيّا آخر يشبه الإنشاد إلى حدّ بعيد، ألا و هو فنّ **التّغريد**.

2 - ظهور فكرة الفنّان الشّامل الذي يعمل كلّ شيء و يجيده، و هي فكرة خاطئة، لأنّ كلّ ميدان هو علم قائم بذاتـه، و العلم يتّسع و ينتشر لدرجة وقوف الإنسان عاجزا عن الإحاطة به كاملا، و ما ينجرّ عنه من فوضى الأدوار و القضاء على مبدأ الاختصاص.

3 - دخول فكرة الحبّ العذري تحت غطاء سماحة الإسلام، فكانت منها أناشيد تشيد بالحبّ المشبوه، و ما يمكن أن يؤول إلى علاقات عاطفيّة بين الرّجل و المرأة خارج إطار الزّواج الشرعيّ.

4 - السّطو على ألحان من الفنون الغنائيّة الأخرى ممّا قتل روح الإبداع، و أصبح الاستنساخ اللّحنيّ شيئا يغري الكسالى.

5 - استعمال اللّغات المحليّة غير الفصحى الأكاديميّة، بحجّة قربها من الجمهور، و سهولة فهمها، و لا أخطر من هذه الفكرة على اللّغات الأكاديمية بتميّعها البطيء، و خروجها عن القواعد السّليمة التي تحفظها من العبث، و خاصة اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم.

6 - التّوظيف المبالغ فيه و غير المدروس جيّدا للمرأة البالغة و الطّفلة ذات الملامح الأنثويّة الفاتنة.

7 - النّظرة الضيّقة لماهيّة الوطنيّة، المحدّدة في منطقة جغرافيّة، في حين أنّها العالم ككلّ.

لكلّ هذه المظاهر أسباب و دوافع أدّت إلى مثل هذه الأفكار النّاقصة و غيرها :

1 - التّأثر السّطحيّ بالأشياء دون الغوص في جوهرها.
2 - الفهم الخاطئ لمصطلح " الاحترافيّة " المبنيّة على الزّمن، في حين أنّها قائمة على العلم.
3 - دخول بعض روّاد الفنون الغنائيّة و توجّههم إلى الإنشاد، إسميّا فقط.
4 - توبـة بعض روّاد الفنـون الغنائيّة و توجّههم إلى الإنشـاد، غير أنّهم ما زالوا متأثّرين بماضيهم و لو بطريقة لا شعوريّة، فانعكس ذلك على المجال الفنّي الجديد.
5 - تأثير الأنظمة الحاكمة على أفكار الشّعوب وفق مصلحتها الخاصّة.

إنّ التّرقية لفنّ ما تفرض رؤية موضوعيّة و ذكيّة نحوه، بما يحقق مصلحة الجماعة العالميّة، و التّرقية الصّحيحة

تستلزم الاتّصال الدّائم الوثيق بالقوّة المطلقة، و التّبصّر بعيداً في الآفاق، قضاء على الأورام السّرطانيّة المتفشيّة في جسد الدّعوة الفنيّة، التي ما تلبث أن تهلك الجسد و أصحابه، عندئذ يصبح من المتأخّر جدّا جدّا معالجة الأمور ببساطة دون نتائج لا تعجب الجميع، و لا شيء حينئذ يحزّ في النّفس كسبب هذه الأورام الذي لا يتعدّى أن يكون جماعة من العائلة، لا عيب لها سوى نظرها إلى الأشياء ببساطة شديدة ... و شديدة جدّا.

12 - الاتّصال مفتاح التّواصل.

لا يمكن لأيّة جماعة إنشاديّة أن تتشكّل و تستمرّ إلاّ بالاتّصال، سواء كان الاتّصال المقصود يتمّ على مستوى داخليّ في الجماعة؛ أو على مستوى خارجيّ بين الجماعة الواحدة و غيرها من الأفراد و الجماعات الأخرى.

يُعدّ الاتّصال من بين أهمّ ما جاءت به مدرسة الاختصاص، بل ركّزت على هذا العامل أيّما تركيز، معتقدة به اعتقادا له من الصّرامة و العمق ما يجعله يقترب من صلب العقيدة الإنشاديّة، و صاغت كلّ ذلك في نظريّة تجاوزت بها نظام الفرقة إلى نظام جديد يحمل اسم " الجهاز ".

في هذا البحث الفلسفيّ سنعرّج على حقائق مختلفة، و سنتعرّف على ما يمكن للمعلومة أن تقوم به، مجرّد معلومة بسيطة؛ إذا وجدت من يستغلّها أحسن استغلال؛ فعلت الأعاجيب، فكيف بكمّ هائل يحيط بنا ؟، نهمل أكثر من نصفه، لا لشيء سوى لأنّ الإنشاد لا يعني للكثيرين أكثر من منشد، أو جمهور يصفّق على كلّ شيء حتّى على ظلال أعضاء الفرقة حينما تتحرّك.

ليكن في علمك أنّ للاتّصال بعد نفسيّ، إذا نشأت الجماعــات المختلفة على سرعة و كثافة الاتّصالات فيما بينها؛ و تبادلت المعلومات بغزارة؛ تفتّحت على ثقافات بعضها البعض، ملغية الحدود السّياسيّة لتتوحّد في جماعة هي العالم برمّته، أي مجتمع عالميّ واحد، تسوده قيم واحدة.

هل يجب أن تعلم أنّ الأفكار تنتشر بالاتّصال ؟، إذا كنت من مريدي الدّعوة الفنيّة؛ فأنت ملزم ذكراً كنت أم امرأة بنشر الأفكار البنّاءة الإيجابيّة، لتساهم في صياغة الشّكل الجديد للجماعة العالميّة، حتميّة هي هذه الخطوة من أجل رحلة طويلة شاقة، ليست في متناول أيّ أحد.

يتشكّل المجتمع العالميّ وفق مفاهيم جديدة لا مكان فيها للغلوّ و التّطرّف، مفاهيم تولد بالتّربية، و إلاّ كيف يمكن وضع نسق عالميّ لم يألفه أحد من قبل ؟.

تتمثّل التّربية أساساً في مدّ الأفراد بقيم تكون إمّا داعمة لما لديه، أو ملغية، أو جديدة في سياق زمنيّ تواتريّ، نضمن بواسطته تكامل الأجيال بدل صراعها، و ممّا يُتّخذ قاعدة في الفكر الإنشاديّ الحديث؛ عدم وجود وعي لدى الجمهور، إذن بالتّربية يمكن توعيته، فيكمل المسيرة الإنشاديّة عبر الأجيال، و تتقوّى به.

يوصف نظام الأجهزة على أنّه نظام أخطبوطيّ، أي يمدّ أياديه في كلّ مكان يراه استراتيجيّا و حيويّا له، و إنّ هذا التّفسير يأخذ معنى التّغلغل في عدّة أوساط، منه ما هو تغلغل فنّي وسط الجمهور، بإثارة مواضيع تهمّه، نعالج فيها مشاكله وفق الشّرع، دون خفض المستوى، فالأصل الارتفاع بالنّاس لا النّزول بهم، و متى كان التّمرّغ في الوحل يعلّم السّاقط فيه تجنّبه ؟.

توحي كلمة " اتّصال " بالإعلام، و الإعلام فضاء رحب جوهره تزويد الجمهور بمناهج القراءات السّليمة للمعلومات، و عليه فإنّنا هنا ملزمون بالتّطرّق لشيئين في غاية الأهميّة.

لا يمكن للإعلام الإنشاديّ أن يقوم بعمله المنتظر منه على أكمل وجه إذا ثبت في حقّه الضّعف، و الفعل الإعلاميّ ما هو إلاّ وجه إسقاط لقوّة مكتسبة من القوّة المطلقة، بحيث أنّه يحقّق تكامل الأجيال عبر الزّمن و المكان، أي يضع نصب عينيه الجماعة العالميّة الموحّدة الثّابت، يكون هذا الفعل ذا فعاليّة و مصداقيّة.

تلقن الأفكار بالتّربية، و تهتدي الجماهير بالأفكار، و الأفكار ما هي سوى تفاعل معلوماتي في أغلبها، معلومات تتحرّك، يؤثّر بعضها في بعض، ما ينتج عنه معلومات جديدة، و إذا أردنا تجميد معلومة ما؛ و إبقائها في مأمن من التّفاعل مع غيرها؛ **حافظنا على طابعها السرّيّ**، و بالتّالي نحصر آثارها في أضيق نطاق ممكن.

الاتّصال مفتاح التّواصل، لأنّه مشهد ديناميكيّ للمعلومات التي تمثّل جوهر التّربية، و من المفروض أن يكون الإنشاديّ يتمتّع بالحسّ الإعلاميّ حتّى يشارك في هذا الحراك بشكل فعّال، في إطار هويّة إعلاميّة إنشاديّة صرفة، تحافظ على رؤية واضحة، يُتحرّى فيها الصّدق و الوفاء و الأمانة.

13 - هل صحيح أنّ النّاقد أعقل أفراد الجمهور ؟.

للأطروحة مناخ ساد بدايات القرن 21، إذ لم يكن هذا النّوع من الأطروحات معروفا لدى الإنشاديّين، حيث كانت العقليّة السّائدة في مدرسة التّتابع تتجنّب النّقد في النّظرة الإجمالية، و تعتبره جدلاً له من الهدم أكثر ممّا له من البناء، و غمرت عقليّة الهواية السّاحة الفنيّة، ممّا لم يدع أيّ مجال لنقد أيّ عمل إنشاديّ نقداً علميّا، فالقاعدة تتطلّب العلم في كلي الميدانين، العمل المقدّم زائداً النّقد الموجّه إليه.

إنّ الاحترافيّة التي من المفروض أن تتوفّر في الأعمال الإنشاديّة على اختلاف أشكالها يجب أن تكون مبنيّة على عنصر العلم، و ليس على مبدأ التّقادم، و منه فانعدام الفكرة الصّائبة أدّت إلى كارثة عظيمة انعكست في غياب الإنشاد عن السّاحة العالميّة، تاركاً المكان لفنون غنائيّة أخرى دمّرت وعي الجماعة العالميّة.

عمل الإنشاديّون في السّنوات الأولى من القرن 21 على تدارك الوضع الذي يزداد تدهورا يوما بعد يوم، و رأت الحركات الإنشاديّة أنّ الحلّ يكون في اتّباع تدابير جديدة، و إعادة النّظر في الأفكار التي سيّرت السّاحة، فكان المخرج في التّركيز على قوى الأفراد، و ما يتولّد عنها من قوى جديدة، و نبذ التّشتّت و الانقسام، اعتماداً على فكرة أنّ فردا واحدا لا يمكن له أن يطوّر الإنشاد، بل يجب أن تتأسّس عقليّة جديدة تعلي من شأن قوّة الجماعة العالميّة، و توزّع الأدوار بناء على استعدادات الأفراد، الذين يعملون في تناسق و انسجام، و بالتّالي يتحقق تكامل القوى.

من الطّبيعيّ أن يسعى كلّ فنّ غنائيّ إلى إيجاد مجال حيويّ له، يتّسع باستمرار، باتّساع درجات التّأثير على النّاس ليصبحوا من جمهوره، و ما كان هذا ليتحقّق إذا غاب عامل الاستقطاب، حينئذ سيكون العمل الإنشاديّ المقدّم إلى الجمهور باهت الأضواء، ذا أخطاء لها من الكثرة ما يبعدها عن القلوب، و انطلاقا من خطّ الملاحظة السّابق؛ نجم التّفكير في دور تُسند إليه مهمّة التّوجيه إلى الأفضل.

إنّ الجمهور بثرثرته و جدله العقيم لا يستطيع أن يضع أياديه على عيوب العمل، بطريقة علميّة راقية احترافيّة، لما تتملّكه الرّغبة في استخدام قواه ذات اليمين و ذات الشّمال، فيدمّر كلّ شيء يقع تحت تأثيرها، حتّى دون قصد منه، إنّه ينقد كلّ شيء دون الإلمام بمفاتيح القضيّة النّقديّة، يناقض أفكاراً هو من عرضها و تحمّس لها، و ما الجدل سوى أخذ فكرة و ليّها فتعطي زوايا نظر و رؤى جديدة، يكفي أخذ رؤية واحدة فقط، و إعادة صياغتها ليدخل الجميع في نقاش بيزنطيّ لا يصلون فيه إلى نقطة، إلاّ إذا أعادوا الكرّة من جديد، فهم في حلقة مفرغة، سرعان ما يملّون كلّ شيء عندما تضعف عقولهم، و تعجز عن إيجاد رأس الخيط القائد، فيتّجهون إلى رأي متطرّف، كأن يتركوا النّقاش و ما يحويه من نقد و تشاور؛ و يقبلون بالأعمال كما هي، أو يضعون مقياساً غير سليم لعمليّة النّقد، فيكون النّقد في هذه الحالة أضيق لباس تمّت خياطته تحت غطاء العلم أو العقيدة.

النّاقد الإنشاديّ شخص واعٍ، تشهد له احترافيّته القائمة على الدّوائر المعرفيّة المتداخلة، يضع فيه الإنشاديّون ثقتهم الموضوعيّة زيادة على الذّاتيّة، من أجل أن يضع يده وضعا **علميّا** على ما يراه برؤيتين مختلفتين، تنشأ من موقفه كناقد، و موقف الجمهور كطرفٍ ثانٍ في معادلة الإرسال التّربويّ.

يتميّز النّاقد عن الجمهور بمجموعة من المميّزات ينفرد بها، و هي التي تؤلّف أركان العمليّة النّقديّة، فمن أين للجمهور بالإخلاص و الاختصاص و الحكمة و المصداقيّة و المعرفة العلميّة ؟، إذا انعدمت واحدة فقط سقط كلّ شيء.

إنّ العلاقة الرّابطة بين النّاقد و الجمهور تفرض علينا فرضاً أن نبيّن شيئا في غاية الأهميّة، للنّاقد حقّ النّقد دون غيره، إنّه المختصّ في دوره، و عليه فإنّ على الإنشاديّين أن يأخذوا رأيه بعين الاعتبار، أمّا آراء الجمهور خارج منظور سبر الآراء، و الاحتكام إليه و كأنه الآمر النّاهي؛ فليست من الحقيقة في شيء.

يعالج النّاقد موضوعات فنيّة، و هو هنا يُعتبر ذا فعل ديناميكيّ يتحقّق بديناميكيّة الفنّ الذي ينقده، لأنّ الفنون ديناميكيّة بوجه عام غير مستقرّة، فهل الإنسان ثابت في أفعاله أم يتغيّر ؟.

طبعاً تتغيّر أنشطته تغيّراً ذا طبيعة خاضعة لتعقيد الوجود الذي هو جزء منه، و النّقد الموجّه لعمل فنيّ غير مستقرّ عبر الزّمكان؛ ما هو إلاّ عمل أيضا لا يعرف الاستقرار.

إنّ ارتكازنا على هذه الفكرة يؤدّي بنا إلى استنساخ فكرة أخرى، لا تبتعد عن الأولى في السّياق العام، تتمثّل في كون النّقد باعتباره نشاطا إنسانيّا خاضعا للحراك الوجوديّ؛ لا يصلح إذا تغيّرت العناصر التي بُني عليها بصفة إجماليّة.

نعم إنّ النّاقد أعقل أفراد الجمهور، لأنّه يملك أشياء يفتقدها النّاس، و يقبع في موقع استراتيجيّ، يرى منه ما لا

يستطيع الآخرون أن يروه، فهو بشيئين؛ مكان مناسب تماما، و علم يدرك به النّقائص و الرّؤى غير السّليمة من الأمور و القضايا.

14 - للتّرجمة فائدة جمّة في نقل أفكار الأفراد و الجماعات إلى أفراد و جماعات أخرى، و إذا كانت الأناشيد وسيلة دعوة فنيّة؛ فإنّه يمكن ترجمتها إلى عدّة لغات، كي تصل الأفكار إلى جمهور جديد، غير أنّ جوهر القضيّة ليس بالشّكل المعتاد دائما.

من الصّعب جدّا أن تصل الأفكار إلى جماعة ما بلغة لا تفهمها، إن لم يكن هذا مستحيلا.

عمليّة نقل الأفكار عمليّة استراتيجيّة، لها قيمتها و وزنها في الفكر الإنشاديّ الحديث، بواسطتها يتمّ تفعيل العالميّة، فتتبادل المجتمعات و الشّعوب العلوم فيما بينها، و ينشأ من هذا الاحتكاك تفاعل يؤدّي إلى إنتاج مزيد من الأفكار، فيتطوّر العلم طرديّا.

إذا كانت بعض المجتمعات تعطي أهميّة قصوى لترجمة المعارف من أجل تسهيل عمليّة استيراد الأفكار؛ فالدّعوة أولى باتّخاذ التّرجمة جسراً ينقلها إلى شعوب المعمورة برمّتها، بغية تبليغ ما غاب عنها و يغيب، و يتشعّب نطاق هذا التّصوّر الشّامل إلى الدّعوة الفنيّة، غير أنّه سيأخذ رواقاً آخر خاصّا به.

يتألّف النّشيد و الأنشودة من عدّة مكوّنات كالكلمة و اللّحن و التّوزيع و الإيقاع و الصّوت ... الخ، تتفاعل كلّها فتؤثّر على الجمهور، في درجات متفاوتة، و عليه فالتّأثير الحاصل ليس من مكوّن واحد فقط كما يبدو من الوهلة الأولى، بل هو تحصيل حاصل مجموعة من المقادير المختلفة.

اعتمدت مدرسة التّتابع على ترجمة الأناشيد أحيانا تبليغا للدّعوة الفنيّة، فكانت تترجم الكلمات من اللّغة العربيّة إلى الانجليزيّة مثلا أو الفرنسيّة، مهملة باقي المكوّنات، أو تلجأ لطريقة التّرجمة المرافقة، فتكون العبارة الأولى بالعربيّة، و تتبعها الثّانية بالفرنسيّة مثلا، في هذه النّقطة يُؤخذ أثر اللّغتين وجوبا.

تختلف ترجمة الأناشيد عن ترجمة الكتب و البحوث و المنشورات، لأنّ طبيعة التّواجد تختلف، فإذا كانت الكلمة في لغة ما تقابلها الكلمة في أخرى؛ فهل يمكن أخذ ما قابل اللّحن ؟، و ما يستلزم من توزيعات ؟ ....

إنّ ترجمة الأناشيد ترجمة كلّ متكامل، إذا تمّ تغيير أيّة قيمة فيه؛ تغيّرت النّتيجة.

و اللّغة في التّرجمة إحدى دعائم العمليّة، غير أنّها تنقسم إلى قسمين رئيسين، لغة أكاديميّة فصيحة، و لغة شارع عاميّة، و الأولى أرقى من الثّانية برقيّ الفكر الذي أنتجها، أمّا لغة الشّارع فلها قواعد خاصّة بها، في آخر درجات سلّم الرقيّ، و بناء على هذا؛ فإنّ التّرجمة تكون إلى لغة الرقيّ مهما كانت هذه اللّغة، هناك لغات راقية قديمة جدّا ليست منتشرة، قلّة من يتكلّمون بها، أهملها أصحابها فتراجعت.

يختلف البناء اللّغويّ من لغة إلى أخرى حسب الأنساق التفكيريّة التي أوجدتها، و بالتّالي فإنّ كلّ لغة لها مميّزات و خصائص، و رغم كلّ ذلك، فإنّ اللّغات تتأثّر ببعضها البعض إذا تلامست، تأثّرات تشمل نواحي كثيرة، و لكنّ الأصل في هذا التّأثّر هو تفكير أصحابها، الذي تأثّر بتفكير أصحاب اللّغات الأخرى.

لقد زادت عمليّات التّأثير باتّساع مجالات التّفكير المشترك، و انتشار وسائل الإعلام، ممّا يسّر كثيرا انتقال الأفكار، المهندس الحقيقيّ للّغة، بينما كانت في القديم في عزلة تكاد تكون تامّة.

لغة الشّارع لغة منحطّة، لغة أنتجها الرّعاع و السّفهاء، بتفكيرهم غير الرّشيد، فمن الطّبيعيّ جدّا إنتاج لغة حسب تفكيرهم، و كلّما زاد النّاس انحدارا؛ عرفت لغتهم انزلاقات شديدة.

يقف المترجم على باب حسّاس، إنّه الحاجب الذي يسمح بدخول النّاس على السيّد، إنّه الشّخص الذي يسمح بدخول الأفكار إلى نطاق تفاعل جماهيري، غير أنّ هذا الدّخول يتّخذ شكلا مغايرا، فهي أفكار تتواجد عند جمهور آخر يتحدّث لغة معيّنة، ينقلها المترجم الذي يتقن لغتين؛ لغة الجمهور الأوّل و لغة الجمهور الثّاني، من المفروض أن يعي جيّدا دوره الاستراتيجيّ، فهو سيقوم بصناعة فكر ما، ليحذر أن تكون هذه الصّناعة ليست بالإتقان المطلوب، أو على الأقلّ لن تكون عبث أطفال.

هل يملك المترجم الحقّ في الاعتراض على فكرة ما توفّرت لديه الشّكوك حولها ؟.

إنّ الحساسيّة التي تسيطر على دور المترجم تفرض عليه فرضا الاحتراس ممّا ينقله من جمهور ما إلى آخر، فإن انتابه شيء بخصوص فكرة مشكوك فيها؛ عليه التّأكّد من سلامتها أوّلا، إذ أنّ الوعي الذي يجب أن يتحلّى به أمر

حتمي.

15 - ترتكز الفلسفة الإنشاديّة الحديثة على 10 مبادئ، أدرس بالسّبر و التّحليل أثر القيمة التّكامليّة الموفرة للرّقيّ بفن الإنشاد.

الفلسفة هي البحث في الوجود لدعمه و تعزيزه أو لتغييره، و الفلسفة الإنشاديّة جزء من القسم العام، حيث أنّها تبحث في الحقيقة الإنشاديّة الموجودة بأصلها، و إذا كان البحث عن شيء ما مرادنا؛ فالمنهج أكثر من ضروريّ للمنطلق؛ مبادئ نرتكز عليها كأركان لهذا الفنّ المستقلّ بنفسه، و القائم بذاته.

إنّها 10 أركان تؤسّس للإنشاد الكينونة الوجوديّة، تتكامل لترتقي به، و هي على اختلافها و اختلاف البلورة العقليّة التي تعنى بها؛ تصنع مجالاً فكريّا يسبق مجال اللاّ فكر بالتّحليل و التّقصّي و التأمّل و التّبصّر، للنّفاذ إلى الحقيقة، بعيدا عن زيف الأغلفة، و التّصرّفات العشوائيّة الغامضة.

الإنشاد دعوة إلى الله، تتخذ من قالب الفنّ ميدانا لها، و ما كانت دعوة الإسلام إلاّ للعالم ككلّ أسودهم و أبيضهم، غنيّهم و فقيرهم، بخطاب يضمّ رسائل لهؤلاء جميعا، دون إهمال شريحة أو طبقة، إنّ هذه الرّؤية العالميّة للعنصر البشريّ ككائن خلقه الله في الوجود، له وظيفة العبادة، و إعمار الأرض؛ لهي مبدأ من مبادئ الفلسفة الإنشاديّة، فالفكرة الضيّقة المحليّة ما عادت تنفع الآن، أمام توجّه الفكر الإنسانيّ لتشكيل جماعة عالميّة واحدة، لا تعترف بالحدود السّياسيّة و الجغرافيّة و ما شابه.

و إذا كانت شعوب المعمورة و قبائلها كتلة عالميّة واحدة؛ فهي تخفي بين ثناياها تناقضات عديدة، مبنيّة على أسس سليمة و غير سليمة، منها الصّواب و منها الخطأ، و منها المعتدل و المتطرّف، و عليه فإنّ الإنشاديّ سيقع في مشكلة عويصة إذا ترك عقله مفتوحاً لكلّ فكرة، و من هذا كان مبدأ " الدّائرة الكبرى " مفتاحا و إقليدا، فالدّائرة لا تقبل الذي يتبنّى فكرة تشكّل خروجا عن الملّة الصّحيحة.

و بهذه الطّريقة يحمي الفكر الإنشاديّ الحديث أفراده من عقبات الأفكار غير الإسلاميّة، و خاصّة الأفكار المسمومة، التي تنعكس آثارها سلباً على المجتمعات، فتشقى بدل أن تسعد، أفكار تقود النّاس من خيبة إلى خيبة، فيحدث التّأخّر و التّخلّف و لو كانت الصّورة العامّة توحي بالتّقدّم و الازدهار.

في داخل الدّائرة الكبرى التي تضمّ كلّ الإنشاديّين في العالم؛ الذين لا تحوي أفكارهم على حرج شرعيّ، نقابل أفكاراً مختلفة بزوايا رؤى متعدّدة، كلّ إنشاديّ يملك وجهة نظر خاصّة به، قد يتشارك فيها مع آخر مشاركة تامّة، أو يتقاطع معه، و لكنّه محكوم باحترام آراء الآخرين، لأنّها آراء تعكس المستوى العقليّ للفرد أوّلا، و المعطيات التي لديه ثانيا، و ما من شكّ في أنّ الحجم المعرفيّ للنّاس متغيّر من شخص لآخر، مثلما تتفاوت درجات مستويات التّفكير لديهم، و يستحيل أن نجعل كلّ الإنشاديّين نسخاً طبق أصل فكريّ واحد، إنّنا بموقفنا سنتصارع مع الفطرة، و سنخرج خاسرين لا محالة.

" الزّاوية " هي وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر أخرى، أين يعتبر هذا الاختلاف رحمة، له دلالة توافقيّة غير ضديّة.

لا يعيش الإنشاديّ وحده في هذه الدّنيا، إنّه وسط جمع غفير من أصناف النّاس، و خاصّة الدّعاة منهم، فيجب عليه أن يكون معهم ضمنيّا، و هو الذي يُطلق عليه مبدأ " التّجمّع الضّمنيّ "، أي يمدّ يده ليتّحد مع غيره اتّحاداً غير رسميّ، و لو كان كذلك لكانوا إنشاديّين معه، و لكنّ الأمر يختلف، حيث سيلتقي مع خطباء مساجد ينشطون دعويّا، و رفقاء دعوة فنيّة في المسرح مثلا، من غير المعقول أن يتجاهل مسعاهم، و يغمض العينين عن جهودهم لإعلاء كلمة الله.

ليس الإنشادي وحده فارس دعوة، و ما كان ذلك في يوم من الأيّام، إنّه جنديّ من بين عشرات و مئات الجنود الآخرين، المدجّجين بالقلم و الرّيشة و وسائل أخرى، مختصّ كلّ واحد منهم في دوره و ميدانه، يقاتل قوى الشّرّ بأسلحته الخاصّة، المتجدّدة طبقا لما يشغله في السّاحة العالميّة من موقع.

و حتّى و لو لم تكن رائحة الدّعوة تنبعث من الذين يتجمّع معهم الإنشاديّ ضمنيّا؛ إنّ وجودهم في هذه الحياة يفرض عليه مشاركتهم أنشطتها، أو يرضى لنفسه العزلة، و ما يكتنفها من انتحار.

تتطلّب الدّعوة الفنيّة الإلمام بكلّ أصناف المعرفة قدر المستطاع، فإذا كان الإنشاد فنّا مستقلاّ بنفسه؛ فهو علم قائم بذاته، و العلم مجموعة دوائر معرفيّة متداخلة، يؤثّر بعضها في بعض، تقتضي التّحكّم فيها بغية التّحكّم في الحياة و ما فيها.

و عندما يقال " شموليّة المعرفة "؛ لا يُعنى بها فوضى الأدوار، بل تكوين ثقافة علميّة راقية تليق برقيّ الفنّ الغنائيّ الذي يشتغل به الإنشاديّ، و يبقى الاختصاص سنّة من سنن الله في الطّبيعة، أمّا غير هذا ممّا يعتقده البعض من إمكانيّة تحكّم الإنشاديّ الواحد في جميع العلوم؛ فهي خرافة لا تتحقّق أبدا، لأنّ العلم الواحد بحر لا ساحل له، يتفرّع إلى عدّة أبحر علميّة، فكيف يُعقل أن يستطيع التّحكّم في واحد فقط يتوالد انشطاريّا؛ حتّى تكون لديه القدرة على التّحكّم في علمين أو أكثر ؟.

تركّز الحركات الإنشاديّة العالميّة على التّربية، بغية تكوين أجيال إنشاديّة رفيعة المستوى، لها من الأهليّة لحمل ما عجزت عنه السّموات و الأرض، و لا يتحقّق الحلم ما بين ليلة و ضحاها؛ فهي مسيرة من أجل التّغيير، تستغرق وقتا للإنجاز، تأخذ عمليّات الحراك الجماهيري في الحسبان، تركّز على الاتّصال كأداة لإيصال رسائل هذا التّغيير، المبنيّ على العلم، لأنّه من أسرار الوجود، و التّحكّم في سرّ الشّيء معناه التّحكّم في كنهه، و **ما محاولاتنا للتّحكّم في العلم إلاّ محاولات للتّحكّم في الوجود.**

إنّ مبدأ " التّغيير المستقبليّ " مبدأ نضمن به البعد عن الفتنة قدر الاستطاعة، إنّه التّأثير في جيل ما زال بعد لم يصل إلى مرحلة التّأثير على الغير رسميّا، يقبل معدنه التّشكيل وفق الإرادة، و لو وُضعت الأفكار في غير موضعها للاقت مقاومة و عنادا، فتتأخّر ميدانيّا، لأنّ العقول لا تتقبّلها، بسبب السّياق التّربويّ المنغلق على نفسه.

لا داعي أن نتطرّق هنا إلى الحركات الإنشاديّة العالميّة و قواسمها المشتركة، و نكتفي بمعالجة الموقف عن قرب بشكل عام.

يقوم الإنشاديّ بعدّة أفعال لها بعد الفنّ، و الفعل الإنشاديّ يختلف من إنشاديّ لآخر حسب دوره و شخصيّته، و لكن هذا المبدأ له خصوصيّة عمّا يُفهم منه فهما عامّا، إذ يرتبط معه التّقدّم، " الفعل المتقدّم "، الفعل الذي يبادر به الإنشاديّ في حدّ ذاته، فلا ينتظر حتّى يتحرّك الآخرون ليتحرّك معهم، و لو أصبح كلّ واحد ينتظر الفعل الذي يقوم به آخر لما تحرّك أحد، ممّا سيبقي السّاحة في ظلام حالك، لا يملك صاحب الفعل الشّجاعة و الجرأة لفعل أيّ شيء.

إنّ نوعيّة الفعل الإنشاديّ مرتبطة أساساً بما يوجد حول الإنشاديّ من إمكانيّات، شخصيّة تتوفّر لديه كالاستعدادات و المواهب، و خارجيّة كالظّروف المحيطة المختلفة، تُستغلّ من أجل الوصول إلى مقام رفيع للفنّ، هذا هو ما يسمّى مبدأ " الارتقاء الحيويّ ".

مقولة " لا يمكن للإنشاد أن يرتقي إلاّ إذا وفّرنا له كذا و كذا و كذا "؛ يُقصد الإمكانيّات الضّخمة؛ مقولة غير سليمة الأساس، فالأشياء يمكن أن نطوّرها على قدر ما هو موجود لدينا من موارد بسيطة جدّا، بشرط أن نكون مخلصين لله، و شيئا فشيئا نعلو في درجات سلّم التقدّم، و كلّما وصلنا إلى درجة متقدّمة عن سابقتها؛ تغيّرت المعطيات التي لدينا، فننطلق إلى درجة أعلى بتشكيلة موارد جديدة، نحصّلها، أو نسخة راقية من الموارد القديمة.

و بطبيعة الحال؛ فإنّ الفعل المتقدّم لا يكون إلاّ بعقل رشيد يعي ما يفعل، و يزن الأمور ليتصرّف بشكل محمود في الموارد المتوفّرة، متّصل باللّه نبع القوّة المطلقة، إنّه مبدأ " العقل المتّحد "، الذي يساعد الإنشاديّ على إحداث نوع من الأفعال رفيعة المستوى، تمثّل موادّ إنتاجيّة جديدة و ليست موادّ معادة الإنتاج، كما يقوم به البعض، حيث يكرّر أفعالاً خالية من التّميّز، تثقل كاهل الميدان الإنشاديّ، و تغرقه بأشياء متناسخة شبيهة ببعضها، ينعدم أثرها القياسيّ فعلا بعد فعل، أو يتدرّج في فعل خاطئ، يسيء إلى فنّ الإنشاد كعلم قائم بذاته و فنّ مستقلّ بنفسه، أو يتصرّف تصرّفات عشوائيّة تدلّ على قلّة عقله؛ و على عجزه على التقدير الجيّد لعواقب الأمور.

يحدّد الفعل الإنشاديّ إلى جانب ما يحدّد نوع الصفّ الذي يقف فيه الفرد، و هي ثلاثة صفوف، يهمّنا في هذا التّحليل الصفّ الثّالث، الذي نستكشف على أثره مبدأ " القوّة الخفيّة ".

توجد حتميّة في العالم، صراع الخير و الشّرّ، سنّة من سنن الله في الطّبيعة، تقضي بوجود عدوّ محتمل، يفرض الحيطة و الحذر دائما، و منه التّصرّف من منطقة آمنة، لا يصل إليها فعل هذا العدوّ، فلا يمكنه أن ينال من الإنشاديّين موجّهي الدّعوة الفنيّة، و بالتّالي الحفاظ على أسرارها المنحدرة عبر الأفراد، و المنتقلة بين حدود الخطوط الخلفيّة.

لا يستطيع شخص التّمكّن من قوّة لا تظهر بجسمها، أفعالها فقط هي المعنيّة بالظّهور، و بالتّالي فإنّها محميّة من أيادي البطش، بالتّخفّي و الاتّصال بالله أصل القوّة المطلقة.

يجب أن يظهر الفعل الإنشاديّ و كأنّه يملك قوّة وجوده من تلقاء نفسه، إبعاداً للشّكوك الممهّدة لتحرّكات العدوّ، أي توليد انطباع لدى الجميع بأنّ التّطوّرات التي يشهدها الوضع الرّاهن هي التي تتطلّب مثل هذه الأفعال الإنشاديّة، فسيطرة وسائل الإعلام على توجيه النّاس يجعلها تحدّد مفاهيمهم للأشياء، و تنظيم مهرجان ما تشارك فيه عدّة أطراف

من غير الصفّ الثّالث، في حين أنّ كلّ ما قيل لا يمتّ للواقع بصلة، فهي ظواهر أريد لها أن تكون هكذا على شكل مناسب من الأشكال، لسبب وجيه من الأسباب و لدافع ضروريّ من الدّوافع.

تلك هي المبادئ العشرة التي ينطلق منها فنّ الإنشاد، ليشقّ طريقه واضحة المعالم برؤى مستقبليّة، و لعلّ التّكامل هو أهمّ خصّيصة تميّزها، بناء مشيّد على أسس مدروسة، تتباعد لأنّ تقاربها يفقد البناء توازنه، و تتقارب لأنّ تباعدها يضعفه، و الوسطيّة قوّة استراتيجيّة يجب أن تبقى.

16 - تتناول الأناشيد عدّة مواضيع ذات صلة وثيقة بالجمهور، حسب الحقول الإنشاديّة التي تتربّع عليها، غير أنّ النّظرة السّطحيّة للأشياء يمكن أن تجعل من الإنشاد أداة هدم عوض أن يكون أداة بناء، دعّم ذلك بالتّوضيح مستعينا بالأمثلة الميدانيّة التي تجدها مناسبة.

إنّ المتمعّن لدور الإنشاد في بناء مجتمع عالميّ وفق أسس سليمة؛ لتعصف بذهنه فكرة تحضير كلّ ما يجب أن يحضّر من أجل العمليّة الصّعبة المنتظرة، أمّا إذا لم تُؤخذ القضيّة بعين الجديّة و الدّراسة الشّاملة التي لا تترك و لو هامشاً بسيطا للفوضى؛ فإنّ ذلك سيخلّف فراغات لدى هؤلاء الأفراد، ستتسلّل منها إليهم تربية سلبيّة، ربّما سيكون لها عظيم الأثر عليهم، حينئذ يمكن للأمر أن يشبّه تماماً بمن يملأ دلوا من الماء؛ و يجدّ في عمليّة الملء و يحرص عليها؛ و في أسفل دلوه ثقب.

تهدف الأناشيد إلى دعوة الأفراد لعبادة الله الواحد الأوحد، الذي لم يلد و لم يولد، الأزليّ الأبديّ، بتوعيتهم بما ينتظرهم في هذه الحياة و الحياة الأخرى، بزرع القيم الإنسانيّة الرّاقية دون نسيان التّرفيه عنهم، إبعاداً للملل و السّأم الذي يعتريهم من حين لآخر.

إنّ التّطوّر الرّهيب الذي حدث مطلع القرن 21، الذي كان تكملة للتّطوّر المتنامي نهايات القرن السّابق؛ أساسه الأفكار، التي تحرّك ما دونها، و رغم النّهضة و الثورة؛ إلاّ أنّ الهدم أسهل من البناء بكثير، و الأدهى و الأمرّ أن يكون دون قصد، أي بفكرة خاطئة، جذرها التّفكير القاصر.

قد لا تخفى عن أيّ إنشاديّ حقول النّشيد و الأنشودة؛ منها ما يتناول العقيدة، و منها ما يمسّ ربّات الحجال، و منها ما يمسّ المدائح، و منها ما هو مخصص للأفراح، و منها ما هو ناظر إلى الوطن، و لكن يخفى عن الكثيرين منهم القالب الصّحيح الذي يجب أن تكون عليه هذه الحقول، و النّسق التّربويّ السّليم الذي تقدّمه لهذه الجماعة العالميّة الموحّدة الثّابت، فيخرج الحقل عن جغرافيّته الحقيقيّة إلى جغرافيا خيالية خاطئة لا تمتّ إليه بصلة، عقيم لا يؤدّي دوره كما ينبغي و كما يتطلّب الترشيد الصّحيح، فإذا كانت الأناشيد الوطنيّة تعلي من قيمة الوطن المحلي المحدّد بحدود سياسيّة؛ و تحكمه جماعة بنظام حكم ما؛ ديمقراطي أو ملكي أو جمهوري أو ما شابه؛ ألا يُضعف هذا من قيمة الجماعة العالميّة ؟، كيف يمكن للانقسام أن يخدم القضيّة الواحدة المتّحدة ؟.

إذا لمس التّفكّك أوصال أيّة جماعة كانت، فصارت جماعات مختلفة، تحت أيّ تصنيف كان؛ اختلفت مصالحها و لو ظهر أو بدا أنّ مصلحة واحدة توحّدها، و مهما أكّدت قيادة كلّ جماعة بتضامنها العميق مع قضيّة جماعة ما؛ فإنّ الواقع يكذّب الفكرة، و الشّكل يرفض الجوهر.

إنّ الوطنيّات في الفكر الإنشاديّ الحديث حقل ينظر للعالم ككلّ كتلة جغرافيّة واحدة غير مجزّأة، أو قابلة للتّجزئة، باختلاف شعوبه و قبائله، و مهما تعدّدت قوميّاته و أعراقه و ألوانه و لغاته.

و الجماعة العالميّة تحتاج دائما إلى تقوية صلتها بالله، بعقيدة إيمانيّة تترسّخ في العقول و القلوب يوما بعد يوم، هذه العقيدة هي الحلّ الوحيد الأمثل لإزالة كلّ صراع يزيد من تعاستها، إذ تخفّف من درجة التوتّر النّاشيء عن ضغط الحياة، و يختفي صراع آخر هو صراع ضدّ الفطرة الإنسانيّة، و يعيش الجميع في سعادة كاملة، بناء على ما هو محدّد لهم في هذه العقيدة.

هل يمكن لكافّة أشكال النّظريّات أن تحلّ محلّ كتاب الله ؟.

من للدّساتير الوضعيّة بتلك الرّؤية الشّامة المطلقة كالرّؤية التي وضعها الله لعباده ؟.

إنّ الخروج عن العقيدة السّليمة يترك الأفراد يعيشون في بدع و خرافات ما أنزل الله بها من سلطان، و يمهّد لكلّ مكروه اجتماعيّ، فينكرون الحسن، و يستحسنون القبيح.

و إذا تمّ نزع العقيدة من نفوس النّاس بأيّة وسيلة؛ انقلبوا في صراع حتّى مع أنفسهم، فالعقيدة لا تحمي الفرد من

الصّراع مع الآخرين فحسب؛ بل تقيه الصّراع مع ذاته، فلا يتعب نفسه في شيء ليس أهلا له، و لا يلحق الأذى بالآخرين و يسومهم سوء العذاب من أجل هذا الشّيء الذي لا يمكن له أن يحصل عليه، أي تمنع العقيدة التّدمير الذّاتيّ للفرد، و تعطي عقله مناعة ضدّ كلّ ما يحمل صفة الشرّ.

ما أجمل أن نربّي أطفالنا على تنشئة ذات قيم رفيعة !، و لكنّ الأهمّ منها أن نكون ذوي نظر بعيد، هؤلاء الذين نقوم بتربيتهم في حقل إنشاديّ خاصّ بهم، سيكونون رجال الغد، الذين سيتحمّلون عبء الحياة الدّنيا و مسؤوليّتها، إنّهم الجيل القادم، في نظرة استراتيجيّة، تقيم للزّمن ألف حساب، و ربّما أكثر من المكان.

إنّ تربية الأطفال هي الصّعود بهم إلى المستوى الرّفيع من القيم، و ليس الصّواب النّزول بهم إلى مستوى حضيضيّ، سواء كان ذلك في المواضيع الإنشاديّة المعالجة؛ أو في اللّغة المستعملة، فهل استعمال لغة عاميّة غير أكاديميّة فصيحة يمكن أن يفيدهم ؟، نعم ممكن جدّا، لكن على حساب ماذا ؟؟؟.

ما فائدة أن يكون لك حذاء باهظ الثّمن إذا لم تكن لديك رجلان ؟؟؟.

ما فائدة الوصول إلى مستوى لغويّ يفهمه الطّفل على حساب لغة فصيحة أكاديميّة تمثّل حضارة شعب بثقافته المميّزة ؟، بل الأدهى من ذلك و أمرّ، أن يكون الولوج على حساب اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم.

كيف سيستوعب الجيل القادم كتاب الله ؟، و كيف سيقفون على أسراره غير المنتهية إذا لم يتحكّموا في اللّغة التي نزل بها ؟، كيف نطلب من أبنائنا حاضرا و مستقبلا أن يفهموا حدود ما أنزل الله إذا تسرّبت إلى عقولهم لغة أخرى تشبه اللّغة العربيّة، تشوّه قواعدها و تزلزل أصولها ؟.

لاحظ جيّدا بُعد هذه الفكرة، هي الأساس الذي إن طاله معول الهدم لن تقيمه رفوش البناء.

إنّ الطّفل يتأثّر جدّا بما في محيطه، فإذا وجد فيه ما يستسيغه أعمل فيه حواسّه، فتشرّب عقله ذلك فنُقش فيه فحُفظ، و على هذه الفكرة إذا عالجنا للطّفل في حقله مواضيع راقية ارتقى عقله بهذه المعالجة، و نمى على ضوء خطوط تفكير راسخة الاستقامة، بدل الوضاعة التي ستكون عليها إذا وجّه المؤشّر إلى الأسفل.

غير أنّ هذا الطّفل الذي نخصّه بالعناية سيصل إلى سنّ معيّنة، هي مفترق طرق بين الذّكر ليصبح رجلا، و الأنثى لتصبح امرأة، في حقل إنشاديّ يسمّى حقل " النّسويّات "، يهمّ الطّفلة ابتداء من بلوغها، يحضّرها لدورها المنشود في المجتمع، دعامة ثانية من دعائمه، و ركن ركين تتحصّن فيه الأسرة.

إنّ المرأة لا تساوي الرّجل، فإذا ساويناها ظلمناها بتحميلها ما لا طاقة لها به اليوم و غدا، بل تكمّل و تسند الرّجل في مهامّه الحياتيّة، و لو أخلت مركزها لضاع الطّرف الثّاني مهما رسخت له قدم، فما بالك بها لو تخلّت عن دورها و زاحمت الرّجل في دوره ؟؟.

إنّ أهمّ قاعدة لتدمير أيّة جماعة هي إحداث فوضى في الأدوار، فتختلط المجالات بمن لا طاقة لهم بها، فتحدث بلبلة فكريّة وفق مبدأ الفعل و ردّ الفعل، فيظهر الصّراع لينهار كلّ شيء تحت ضربات كلّ واحد، و ما هذه الضّربات سوى **قوى لم تأخذ مكانها المناسب**، فامتلكت خاصيّة الضّرر، أرجوكما يا سيّدي و يا سيّدتي أن تلاحظا هذا جيّدا، و تمعّنا في القضيّة، فجوهرها هنا، إذا امتلكتما الفكرة الصّحيحة حضرت لكما القدرة على التّحكّم فيما سواها.

قلّة قليلة جدّا من يعرفون جيّدا مكان المرأة في المجتمع، فهم إمّا يضعونها جنباً إلى جنب مع الرّجل؛ على خطّ واحد في أغلب الحالات، أو يؤخّرون مركزها حتّى يصل هذا التأخير إلى الإلغاء التّام لشخصيّتها.

للأفراح حقل إنشاديّ له أهميّته أيضاً و دوره الحيويّ في الجماعة العالميّة، بما يخفّف عن أفرادها ضغوط الحياة، و يروّح عن أنفسهم ترويحاً يجعلهم يُقبلون على العمل أكثر فأكثر.

و يشمل هذا الحقل كلّ ما من شأنه إضفاء مسحة سرور على الأفراد، كالأعراس و الحفلات، أي المناسبات السّعيدة، هو باب يسدّ ثغرة من ثغرات النّفس البشريّة، يتسلّل منها الشّيطان، فلا مناص منه إذا استحكم، إذن من غير المعقول ألاّ نوليه عناية قصوى، آخذين تفاصيله عامّها و أدقّها.

إنّ استعمـال آلات العزف الموسيقيّة في هذا الحقل تحت غطاء تفاهة القضيّة؛ و أنّها لا تتطلّب كل هـذا الاهتمام و الصّدى؛ يُخرج الحقل عن دائرة الإنشاد إلى دائرة فنّ التّغريد، دون أن نتطرّق لمشكل اللّغة، فالأمر سيّان، أمّا العبارات المستعملة؛ فحدّث و لا حرج.

إنّ وجود الفرد في الجماعة أثناء التعرّض لهذا الحقل؛ يجعل منه فاقداً لبعض العناصر، حيث تحرّك الجماعة بعضها بعضا، و يقلّ الشّعور بالمسؤوليّة الفرديّة، إذ أنّها لم تحدّد، و ينشأ نوع من الهستيريا يفرض ظهور تصرّفات

مشينة كرقص النّساء أمام المنشدين، أو حتّى رقص النّساء أمام بعضهن البعض بحركات لا تجوز شرعا، و الأدهى من ذلك لا مبالاة الإنشاديّين و الإنشاديّات بدعوى أنّ الجميع في فرح.

تمتدّ قضيّة الرّقص إلى حقل المدائح أيضا، و يصل الاعتقاد بالبعض و يذهب إلى أنّ هذا الحقل باب من أبواب التّقرّب إلى الله عزّ و جلّ، برقصة أقرب لهلوسات شيطانيّة منها إلى فنّ من فنون البشر.

حقـل المدائـح من الحقـول الإنشاديّة الهامّة أيضا، فهو الحقل الذي يختصّ بسيرة رسـول الله صلّى الله عليه و آلـه و سلّم خاصّة، و بقيّة الرّسل و الأنبياء، دون إهمـال آل البيت الكرام و الصّحابـة و الأوليـاء الصّالحين، دون مبالغة و تطرّف، أي دون إعطاء الممدوح نصيبا أكبر من نصيبه، أو مساحة إطراء أوسع من مساحته، فهذا من شأنه الخروج عن الحقّ و تقديس ما لا يجوز تقديسه.

يحدث التّطرّف بناء على مشاعر الحبّ للشّخصيّة الممدوحة، و هذه حالة شاذة عن السّلامة، تُخرج حقل المدائح من وظيفته كحقل إنشاديّ يبيّن للجماعة العالميّة صفات و مناقب الممدوح، كإنسان أوّلا و قبل كلّ شيء، ارتبط بالله ارتباطاً أوثـق من النّاس العاديّين، أو اختـاره تعالى لحكمة يريدها، فأصبح قلباً يدعو الأفـراد و الجماعـات إلى طريق الهدايـة و الرّشاد.

إنّ النّظرة غير النّافذة إلى أعماق القضايا و جواهر الأشياء؛ لا يُرجى منها خير أبدا، لأنّها تأتي بالأشياء على غير وجهها الصّحيح، و بالرّغم من أنّ كلّ شيء في هذا الوجود له دور يقوم به؛ فإنّ نظرتنا إليه غالبا هي التي تحدّد طبيعة هذا الدّور.

17 - يُقال أنّ الكلمة هي الأساس في النّشيد أو الأنشودة، غير أنّ هناك من الإنشاديين من يعتقد أنّ الكلمة وحدها لا تكفي لصناعة إنشاديّة رفيعة المستوى، و يغـوص هذا الرّأي عميقا في القيمة التّفاعليّة للعناصر المكوّنة للأنشودة، من لحن و توزيعات و حتّى الأصوات و الإيقاعات.

تنافس الفنون الغنائيّة فيما بينها على الانفراد بجمهور ضخم أدّى إلى البحث عن وسائل تأثير أكثر فعاليّة، من أجل نتائج أكثر مردوديّة، و ذهبت آراء إلى البحث في الفنّ الغنائيّ بذاته بغية تطويره إلى مستوى رفيع احترافيّ، فنشأ رأيان : أحدهما يقول أنّ الأساس في النّشيد أو الأنشودة هو الكلمة، أي الشّعر، و الثّاني تجاوز ذلك إلى كلّ العناصر من كلمة و لحن و إيقاع و توزيع .... الخ، على أن يساهم كلّ هؤلاء في صناعة إنشاديّة راقية، مختلفين في درجات المساهمة بنسب متفاوتة، ذاهبين إلى ما ينشأ عن هذا المزيج من تفاعل، تتغيّر قيمته صعوداً و نزولاً بتغيّر إحدى المكوّنات.

و لعلّ أبرز مظهر لهذين الرّأيين يكتسي صورة جليّة للملاحظين؛ ترجمة الأناشيد، فأصحاب الكلمة لا يرون مانعاً أبدا في ترجمة الأنشودة أو النّشيد، فهي الأساس و المحور، و إذا تغيّر الأساس انتقل التّغيّر إلى غيره من التّوابع، أمّا الذين يرون النّقيض في هذه القضيّة، فهم أصحاب مدرسة الاختصاص، فالنّشيد و الأنشودة قيمة تفاعليّة ناتجة عن مجموعة من الأطراف المتداخلة التأثير، كلّ عنصر يؤدّي دوراً محدّداً في المعادلة، و بالتّالي فإنّ الأهميّة لا تكون في عنصر واحد فحسب؛ بل كلّ العناصر مهمّة في الصّناعة الإنشاديّة.

للتّأثير المتبادل بين عدّة عناصر تدخل في الصّناعة الإنشاديّة بُعد، هو حتميّة تقتضيها الحقيقة، إذ لكلّ عنصر ميدان نخوضه بالبحث و التّحرّي و التّدقيق، فهو علم من العلوم، سرعان ما ينقسم بدوره إلى مجموعة من معارف مشتركة، على رأسه روّاد لهم دراية بما يخوضون فيه، صفاتهم الأخلاق و الإتقان.

يختلف التّأثير على الفرد عنه على الجماعة، فالفرد له صفات تميّزه عن غيره، سرعان ما تذوب عندما يتواجد في جماعة ما، و تختلف درجة الذّوبان بدورها من فرد لآخر حسب شخصيّته، و تختفي بعض الصّفـات لبعض الأوقـات، و تظهر بدرجات مختلفة في أوقات أخرى، وسط ظروف تحدّدها الجماعة أو غيرها.

رغم أنّ الأنشودة و النّشيد كلّ متكامل يكمّل بعضه بعضا؛ فإنّ صوت المنشد هو مقدّم عناصرها للجمهور، فالكلمـات التي يدوّنها الشّاعـر سوف يصدح بها صوت المنشـد، الذي يصدح أيضاً بلحن الملحّن، كاشفـاً توزيعـات الموزّع، ... الخ، و لا نقول مطلقا أنّ صوت المنشد هو الأساس بل هو **الكاشف** فقط لعناصر متداخلة فيما بينها، منشئة تفاعلاً خاصّا بها، و هذا التّفاعل لا يقوم سوى على العلم؛ الكاشف بدوره أسرار الوجود، المتضمّنة حكمة الله في خلقه، بحيث لا وجود للصّدفة إطلاقا، فمن معناها تتأتّى العشوائيّة، و حاشى لله أن يعبث في خلقه مهما كانوا، أو بلغوا من الحقارة في شيء.

18 - ليس كلّ مرجع صالحاً للبحث.

يحتاج الباحث في فنّ الإنشاد إلى الاطّلاع عمّا كتبه الآخرون، و ما قالوه، و ما فعلوه، فالمعرفة المتراكمة إرث حضاريّ بشريّ ضخم، يجب على من لا يريد أن يضيّع وقته إلقاء و لو نظرة خاطفة عليه.

كلّ ما يأخذه الباحث من التّجارب التي تراكمت قبله هو مرجع، سواء كان كتاباً أو شخصاً أو أيّة مادّة تحوي معلومات تفيده في أبحاثه، و ما فِعل الباحث سوى تجربة يضعها في المعرفة المتراكمة لتكون إرثاً لغيره من الباحثين على وجه الخصوص.

إنّ التّجربة الشّخصيّة التي يضيفها الباحث إلى ما تراكم من معلومات هي خلاصة تفاعل معيّن ناتج عن المعرفة المرسلة و لو بقدر ضئيل، و باعتبار أنّ هذا التفاعل يحمل الطّبيعة البشريّة؛ فإنّه سيحوي عادة قيماً سلبيّة كالخطأ و التّسميم، أو نسبيّة لا يمكن لها أن تطعن في السنّ، (لا يمكن لها أن تعيش طويلا)، أو تعمّم إلى متغيّرات أخرى.

و بغضّ النّظر عن أنواع المراجع سواء كانت كتباً أو مخطوطات، أو مراجع حيّة كأفراد لهم تجاربهم الخاصّة التي لم تدخل بعد في حيّز التّقييد؛ فإنّنا في البحث الإنشاديّ نركّز على الفكرة لا على صاحبها، لما في ذلك من إبراز لقيمة الفعل لا الفاعل، و لكن تجب الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم هو أبو المراجع كلّها، لما يحمل بين دفّتيه من حكم و قوانين و علوم ... الخ، إذ يكفي أنّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، منزّه عن الخطأ و النّقصان، فأيّ شيء لم يذكره تعالى فيه؛ من المؤكّد قطعاً أنّه لا و لن ينفعنا، و لا جدوى من ذكره، و كلّ ما ذُكر صحيح 100 %، صحّة ما بعدها صحّة، و صواباً ما بعده صواب، فله الولاء.

أصدق الحديث كتاب الله.

من أجل كسب المعرفة المحتواة في مرجع ما؛ نتطرّق لجانب قيمته البيداغوجيّة، أي استطاعته على إيصال أفكاره إلى جمهور المخاطبة، بواسطة ما استعمله من وسائل كالمثال و القصّة و ما شابه.

يُعتبر المرجع ذو القيمة البيداغوجيّة العالية مرجعاً يؤمّن لنفسه استمراريّة، و خاصّة إذا كان متناولاً لقضيّة بأسلوب فعّال، يركّز على الجوهر ممّا يجعله في مرتبة رفيعة من حيث العمق المسبور، فلا يكون سطحيّا ذا استهلاك مؤقت، سرعان ما يُنسى عبر التّاريخ، أو يعالج مواضيع تافهة برؤية أتفه.

و يدخل المرجع في إطار آخر؛ فهو إرث ثقافيّ حضاريّ ذا مغزى معرفيّ، على قاعدة تاريخيّة تسمّى " تراثا "، له القيمة الماديّة والمعنويّة، مِلك الحضارة البشريّة، بما يمثّله من مخزون استراتيجيّ معلوماتيّ.

19 - تتداخل الفنون فيما بينها في الواقع الحياتي تداخلا يكاد يفقدها شخصيّتها المستقلّة، و رغم هذا يبقى فلاسفة كلّ فنّ ينادون بضرورة الحفاظ على كلّ واحد من التّميّع.

يحتاج الإنسان للفنون على تنوّعها للتّعبير عن خلجات نفسه، و هو في الوقت ذاته تعبير عن الجمال الذي يحبّه الله، إنّه البرهان على الذّوق الذي يميّز الكائن البشريّ، و تختلف الفنون و تتشعّب إلى عدّة فنون جزئيّة، يتحكّم بها العلم، و ما يوجد فنّ يولد و يترعرع دون علم يدرسه، كما لا يوجد فنّ بسيط فالكلّ لديه حظّ من التّعقيد، و الأشياء في الطّبيعة في جوهرها معقدة مركّبة و إن ظهرت للملاحظين هيّنة سهلة، لها من البساطة ما يغري أيّ واحد بالثّرثرة.

لا يوجد فرد موسوعة، عارف بكلّ العلوم، فهذا مستحيل أن يوجد أو يكون، و إنّما يوجد من يعرف أشياء من كلّ ميدان، و الجزء ليس الكلّ، كذلك لا يوجد فنّان شامل، متحكّم في كلّ الفنون، إنّما القضيّة برمّتها زهرة من كلّ بستان، فهل يمكن لمن يملك زهرة واحدة مزروعة أن يقول : عندي حديقة ؟!.

إنّ العلاقة بين الحياة و الفنون علاقة جدليّة، فالفنّ يعبّر عن مظاهر الحياة، كما يعكس العقليّة السّائدة في المجتمع، و لكن هذا لا يمنع أن نجعل من الحياة راقية بجعل الفنّ يدفع هذا الرّقيّ و يخدمه، و كما يصبح العلم وسيلة ضارّة جدّا إذا خرج عن المعرفة المرسلة؛ يصبح الفنّ أداة تخريب إذا جعلنا له الحبل على الغارب، و أصبح كلّ فرد أو جماعة يعبّر في حريّة مطلقة.

و الرّقيّ بالفنّ هو عمليّة تطويره بما يضمن عدم تميّعه فاندثاره، كلّ فنّ يعبّر عن زاوية جماليّة في الحضارة الإنسانيّة، و أيّ تطوّر لفنّ على حساب آخر، هو جريمة قتل في حقّ الوجود البشريّ.

إنّ المفكّرين و الفلاسفة هم الذين يطوّرون الفنون، فهم بما يركّزون عليه من تفكير مكثّف شامل؛ يبحثون في أفضل

السّبل التي تحقق التقدّم، و علماء الدّين يحدّدون ما إذا كانت هذه الخطوات تمثّل حرجا شرعيّا أم العكس، و لا يمكن تجاوز طرف مضمار طرف آخر، عندئذ تكون القضيّة العامّة " ينطق بما لا يفقه "، و " يتكلّم بما لا يعلم "، و بالتّالي فإنّ الدّور المنتظر من الفلاسفة و المفكّرين القيام به؛ هو التّفكير في تطوير الفنّ نظريّا، إذا غابوا أو ضعفوا؛ ضاع الفنّ الذي يشتغلون به، و تميّع بسيطرة أفكار فنون أخرى لا تجعل له قيمة أو وزنا.

كلّما كان ذوق الفنّان رفيعاً كان التّعبير عنه راقيا، و العكس صحيح، و عليه فإنّ الرّفع من ذوق الفنّان الإنشاديّ أمر بالغ الأهميّة، و ضرورة تكتسيها الأولويّة، كي تنجح عمليّة الاستقطاب، هذا ما يقود إلى تبنّي الاحترافيّة كمنهج حتميّ للتّطوّر، الاحترافيّة التي تُعتصر من العلم، و ليست الوسام الذي يُؤخذ بالشّرف، بناء على عامل الزّمن.

ليس محترفاً من يفتقر إلى الأفكار العالميّة في تطوير فنّ الإنشاد و لو أفنى حياته كلّها فيه، ليس محترفاً من يجهل مناهج الحصول على الأشياء و لو كانت هذه الأشياء تتوفّر لديه بجودة عالية.

لا شيء يهدّد الإنشاد بالتّميّع كشبيهه، فالجمهور لا يضعون فرقاً بين شيئين متشابهين، بالرّغم من أنّ قولنا شبيه يوحي بالاستقلاليّة، و لو كان التّشابه في شيئين منعدماً لكانا إمّا شيئا واحدا أو شيئين مختلفين، و هناك فنون تشبه الإنشاد :

1 - التّغريد الذي يستعمل آلات العزف الموسيقيّة أثناء التّسجيل و العرض.
2 - الإنشاد المسرحيّ الذي يمثّل فنّا مستقلاّ عن الإنشاد، و لو بدا للملاحظين أنّه جزء منه فقط.
3 - المسرح الإنشاديّ الذي يركّز على المسرح مستعملا الإنشاد مكمّلا له أثناء العرض و التّسجيل.

إنّ الخلط المتعمّد بين هذه الفنون يدمّر الإنشاد، إذ أنّه سيفقد شخصيّته عبر الزّمن و المكان، و تتطوّر الأمور لتصبح فوضى يختلط فيها الحابل بالنّابل، فلا فرق حينئذ بين عالم و جاهل، فالكلّ في صراع يقصف بعضهم عقول بعض، في جوّ يسوده ضباب كثيف لا يميّز أحد فيه الحقّ.

الهواية فوضى تغذّيها الرّغبة النّفسيّة، و سيرورة يحرّكها الحماس نحو المجهول، و عليه فإنّه لا يحصل بها تقدّم فنّي، إذ أنّها حراك عاطفي انفعالي، يجب أن يقوده علم مبنيّ على قواعد و أسس، تمثّل سنن الله في الكون، و ما كانت الاحترافيّة لتقتل الموهبة أو المهارة، بل تقتل الحركات العشوائيّة الهشّة، إنّها الصّاقل و الموجّه نحو ما يكون بالضّرورة، **في ضوء ما هو كائن.**

20 - هل يملك القانون القوّة اللاّزمة لتسيير أيّة جماعة إنشاديّة ؟.

إنّ الجماعة باعتبارها مجموعة أفراد يتفاعلون فيما بينهم تفاعلات كثيرة متشعّبة؛ بحاجة إلى مرجع يحدّد القيمة الأخلاقيّة لأنشطتهم، و ينظّم العلاقات و ما ينتج عنها من سلوكات، فيعلي الحقّ و يزهق الباطل، فيحسّ الضّعيف بالطّمأنينة و الأمن، و يشعر القويّ بوجود سلطة فوقه تضبط أفعاله و أقواله، تكون حدّا فاصلا بينه و بين الظّلم.

و الجماعة الإنشاديّة سواء كانت نظاما أو ما فوق الأنظمة أو ما تحتها؛ ملزمة بالاستناد إلى قانون ينظّم علاقات الأفراد بين بعضهم البعض، إضافة إلى ما هو خارج عن هذه الجماعة من أفراد و جماعات أخرى، فهل للقانون القوّة اللاّزمة لتسيير جماعة إنشاديّة ما ؟، أم يُعتبر ناقصاً لا يصل إلى درجة فعاليّة كافية نضمن بها حقوق و واجبات الفرد في الجماعة ؟.

هو مجموعة من الأفكار المطبّقة في الواقع تنظّم سلوك الفرد و حقوقه، زيادة على ما يتوجّب عليه القيام تجاه الآخرين، و تضبط مختلف دوائر الحكم و ما ينتج عنها من آليّات صنع القرار، و رغم كلّ هذه الفوائد التي يحققها القانون للجماعة الإنشاديّة؛ إلاّ أنّه ليس الأساس فيها، و لا يمكن أن نمنحه مكاناً أفسح من مكانه، و لا موقعاً أعلى من موقعه، فالأفكار المطبّقة في الواقع لا تعدو أن تكون وسيلة ثانويّة تكمّل الأخلاق التي تميّز العلاقة الأفقيّة و الإيمان الذي يميّز العلاقة العموديّة، و لو ألغينا الأخلاق لن يتمكّن أيّ قانون من تسيير أيّة جماعة إنشاديّة كانت، و لن يقدّم حلولاً لجماعة تهمل الأحكام الإلهيّة.

هل يُعدم اللّصّ حيلة في التّنصّل من القانون و التملّص منه مهما كانت كفاءة هذا الأخير ؟.

هل يُعدم المحتال حيلة في مراوغة القانون ؟.

هل يرعى الذّئب الغنم ؟.

ما الجدوى من ترسانة قوانين توضع لحماية جماعة إنشاديّة من مخاطر تهدّدها؛ في حين نترك ثغرات تتسلّل منها

الأخطار ؟.

إنّ عمليّة سدّ ثغرة قانونيّة تشبه عمليّة سدّ ثقوب بالرّمل موجودة في جدار خرسانيّ، و الأنجع من كلّ هذه العمليّة بما تنطوي عليه من أتعاب و توجّسات أن تكون العلاقة العموديّة علاقة صلبة متينة لا يشوبها شيء، ثمّ تأتي العلاقة الأفقيّة على نفس الأثر، في هذه الحالة سيكون القانون أداة جوهريّة، فلا يمكن الاستغناء عنه بأيّة صورة من الصّور، و لكنّه سيكون ذا مفعول أقوى، ليس بفاعليّته الذّاتيّة؛ بل بفاعليّة العلاقتين العموديّة و الأفقيّة على التّرتيب.

إنّ القانون الذي لا ينبع من المعرفة المرسلة يفتقد النّجاعة و لو ظهر العكس، لأنّ المعرفة المرسلة هي أقوى أنواع المعارف على الإطلاق، و ما ينبع الذي يراد له القوّة إلاّ من قويّ.

و بغضّ النّظر عن أحقيّة أيّة جماعة كانت في سنّ قوانين تحمي بها أفرادها من مخاطر ترى أنّها تهدّدها؛ فإنّ الإمعان في تطبيق القانون الوضعي يجعل النّاس باردي الطّباع؛ جامدي العواطف؛ قساة القلوب، و لو حكّموا عواطفهم فلن ينجح معهم شيء في إقامة العدل، و لا مناص مطلقا من تطبيق قوانين المعرفة المرسلة لأنّها الوحيدة التي تكفل إقامة العدل المطلق، فالله خبير بعباده، خبرة مطلقة غير نسبيّة، تامّة غير ناقصة، لأنّه هو عزّ و جلّ خالق الوجود، و من يا ترى أدرى منه بشؤون ما خلق ؟!.

لنخرج من هذه النّقطة إلى نقطة أخرى؛ ضع خطّا تفرّق به بين القانون الوضعيّ و القانون الطّبيعيّ، فإذا اعتبرنا أنّ القانون الوضعيّ غير صالح و هو أولى ألاّ يوضع في الأصل؛ فإنّ القانون الطّبيعيّ هو سنّة الله في خلقه، و لله في خلقه شؤون، أي أنّه بحكمته؛ سبحانه أن يصل إلى مستواه فرد أو جماعة؛ وضع قوانين في الطّبيعة من أجل غايات كثيرة منها تنظيم هذا الوجود، بما تحويه من قوانين ذات صلاحيّة قصيرة، و أخرى ذات صلاحيّة متوسّطة، و ثالثة ذات صلاحيّة طويلة تمتدّ إلى يوم القيامة، و رابعة تتجاوز ذلك إلى الحياة الأخرى.

إنّ القرآن الكريم هو مصدر القانون، و بناء عليه وحده سيحاسب كلّ شخص، فلا جدوى من الانصياع لأيّ قانون وضعيّ، فهو سيتهالك أمام الحقّ مثلما سيهلك من يطبّقه، و حتّى من أساس هذا الكلام؛ لا يُعدّ منطقيّا أبدا، فأيّ قانون وضعيّ يمكن جدّا و ببساطة شديدة أن يناقض قانونا وضعيّا سابقا، و أيّ محاكمة إذن ستعدّ باطلة، فيها شيء من الظّلم، و ستعاد من جديد إذا ظهرت الرّغبة في صياغة قانون وضعيّ آخر جديد إن اعتبرنا أنّ التّناقض يأخذ البعد الزّمنيّ فقط، فقد ينحى إلى البعد المكانيّ أيضا، ليصل إلى مكان واحد يعاكس فيه الواحد الآخر، و من سيحظى بالتّطبيق حينئذ ؟؟؟.

هل يملك القانون القوّة اللاّزمة لتسيير أيّة جماعة إنشاديّة ؟.

أيّ قانون ؟، لنتساءل عن طبيعته أوّلا، فلقد بيّنّا أنّه لا وجود فعليّ إلاّ لسنن الله في خلقه، و بناء عليه فالله وحده هو واضع هذا القانون، بما يترتّب على ذلك من عجز غيره عن المماثلة، و المجهود الذي يقوم به لا يتعدّى اكتشاف الأسرار، في إطار البحث عن المعرفة العلميّة، المتنامية باستمرار دون أن تعرف ركوداً أو توقفا.

خلاصة ما مرّ بك في هذا التأمّل تتمحور حول القانون الذي لا يملك أيّة قوّة لتسيير جماعة إنشاديّة مهما كانت، إلاّ ما كان قائما على سنن الله في الكون، و السّنن بدورها تمثّل أسراراً علميّة للوجود الذي نحن جزء منه، و في نفس الوقت إنّ القانون المرتكز على العلم لا يمكن له أن يضمن سيراً حسنا و لا ممتازاً للجماعة، ما لم يكمّل الأخلاق التي يجب أن تسود أوّلا، بعد تثبيت العلاقة العموديّة بين الإنشاديّ و ربّه.

21 - تبدو أسس الإنشاد الخمسة جامدة تفتقر للمرونة في حين أنّ المدقق في القضيّة لا يرى أيّ جمود من أيّ نوع كان، فالعلاقات التي تربط هذه الأسس تفي بالشّكل الكامل، إشرح الكيفيّة التي تفسّر هذا الرّبط.

يقوم الإنشاد على خمسة أسس؛ استغلال التّكوين الشّخصيّ، استخدام الوظيفة المشغولة، توظيف المواهب، استقطاب أكبر عدد من الجمهور، احترافيّة الأفراد، و يتّضح للرّائي من أوّل وهلة أنّ كلّ هذه الأسس لها من القوّة ما يكفي لجعل فنّ الإنشاد في المقدّمة، يتربّع على عرش الفنون الغنائيّة، و لا سيّما الدّينيّة منها.

للإنشاديّ تكوين شخصيّ يتألّف من دراسته بكافة أنواعها، و لا يختلف الأمر إن كانت هذه الدّراسة نظاميّة أو حرّة كإجراء تربّصات و تكوينات مختلفة، يدعّم بها جعبته الفكريّة، فالعلم نور يُستضاء به، و لو كان إنشاديّ ما ليس له تكوين فهو شخص أمّيّ، قد لا يعرف حتّى كيف يكتب اسمه، و لو حللنا هذه النّقطة جيّدا؛ لوجدناه يفتقر للتّربية العقليّة المتطوّرة، التي لا تُمنح إلاّ بالدّراسة و التّكوين، أي بعبارة أخرى؛ تربيته العقليّة ضعيفة جدّا، بدائيّة مثل الشّعوب الهمجية التي ما زالت تعيش في المناطق النّائية من العالم، المنغلقين على أنفسهم، و ما يقال عن التّربية العقليّة يقال عن أنواع أخرى تلتصق بها كالتّربية النّفسيّة على سبيل المثال.

تنتقل المعرفة المتراكمة إلى الأجيال عن طريق التّربية، و لا سيّما في مظهر التّمدرس، حيث تخضع المنظومة التّربويّة لمناهج خاصّة يُضمن بها مستقبل النّشء القادم، و الواقف عن كثب يتسنّى له رؤية أثر ذلك على ثقافة الفرد.

إنّ ما تقوم به المدرسة يتعدّى نقل خبرات الأجيال السّابقة إلى تطوير القدرات الخاصّة للمتمدرس، من أجل الوصول إلى أقصى حالات العطاء الفكريّ و أرقى أنواع التّصرّف مع المتغيّرات الحياتيّة، لأنّه لا فائدة ترجى من زاد معرفيّ ضخم دون آلة تعرف بالضّبط الأصول السّليمة للتّصرّف المثالي فيه.

يعيش الإنشاديّ في هذا العالم كفرد فعّال يقدّم خدمات للجماعة العالميّة، فهو كائن مصلح إصلاحاً مقابل مال أو مجّانا، و لكنّ الأهمّ قبل المهمّ هو نيّته السّليمة ذات النّظرة الاستعلائيّة تجاه المتاع الزّائل.

قد يكون الإنشاديّ من أصحاب الوظائف الحرّة، كما يكون منتمياً إلى قطاع الوظيف العموميّ، و سواء كان الأمر هذا أو ذاك؛ فإنّ الجماعة العالميّة تحتاجه عضوا فيها، له دور يقوم به، يُستثمر بناء على فلسفة الارتقاء الحيويّ للإفادة العامّة و الخاصّة.

و الوظيفة الحرّة قد تكون في الإنشاد، أي أنّ الإنشاديّ يشتغل في ميدان الدّعوة الفنيّة مقابل مال يضعه في حاجته، و لا يتعارض ذلك مع خصوصيّة الدّعوة، فالنّيّة محلّها القلب، و لكنّه قد يُفتن، و لكلّ خيار فتنه الخاصّة به.

تصنع الوظيفة مجالا حيويّا للإنشاد، بما تحتوي عليه من امتيازات و علاقات مع الأفراد و الجماعات، مع الصّبغة التي تطبعها، إضافة إلى أسرار المنهج الوظيفيّ الذي قد يكون مفتاحا لعدّة اهتمامات إنشاديّة.

و لا ضير إذا زاوج الفرد بين الوظيفة الحرّة و غير الحرّة، و اتّسع في ذلك اتّساعا يملك به أسباب الثّروة و الجاه، ممّا سيجعله فائزاً في الدّارين إذا أعطى كلّ شيء حقه، و لم تلهه الفانية على حساب الباقية.

إنّ جعل مجال الوظيفة مجالاً مرناً ذا مساحات متعدّدة، خطوة استراتيجيّة في الثّقافة الأمنيّة، فهو بهذا يبعد ينابيع التّمويل عن خطر التّجفيف، و ينشئ لنفسه استقلاليّة معيشيّة تنأى بغناها عن كلّ ضغط يؤثّر على قراراته و تصرّفاته في الدّعوة.

هناك من الوظائف ما هو حسّاس بطبيعته، ما يفرض على الإنشاديّ التّواجد في الصّفّ الثّالث، حيث يتحدّد المرتع بما يشكّله الضّغط الأيديولوجي للجماعة المسيطرة.

لكلّ شخص مهما كان جنسه أو طبيعته موهبة منحها الله له، يجب عليه توظيفها فيما يُرضي الله أوّلا، ثمّ فيما يرى لها من أولويّة ثانيا، و يكون التّوظيف بالتّعرّف على الحدود التي تصل إليها، على كافّة النّطاقات، و تقترن الموهبة بالجانب العاطفيّ، و هي بهذا تشكّل قوّة، حيث يعمل الحبّ مع الإرادة على تشكيل استثناء من نوع خاصّ يختلف عن باقي الأسس السّابقة.

و توصف الموهبة بأنّها ما ييسّر الله له عباده، فهذا إنشاديّ له موهبة كتابة الشّعر، و الآخر له موهبة التّلحين، الثّالث مبدع في الصّحافة، و لو طلبنا من الأوّل أن يلحّن لنا نشيدة؛ لما استطاع نظريّا، و إن تمّ له ما أراد؛ فبعد جهد جهيد و تعب شديد، و لنغمض أعيننا عن مستوى المنتوج لأنّه لا سبيل للمقارنة.

قس على هذا المثال ما تراه أمامك، و لعلّ هذا من أهمّ المشاكل التي يتخبّط فيها الإنشاد، إذ تعمّ الفوضى السّاحة الفنيّة كنتيجة لعدم إدراك الموهبة جيّدا، بما في ذلك ما يمكن أن تصل إليه.

نرى في الميـدان جليّا إمكانيّة تمتّع الإنشاديّ بأكثر من موهبة، و لا يمكن إدخـال ذلك إلاّ في مفهـوم " تعبيد الطّريق "، إذ يتمّ التّركيز أفضليّا على الموهبة الأكثر نصاعة، حتّى لا يتعارض ذلك مع الاختصاص، فالموهبة ما هي سوى منحة منحها الله، و منح الله تختلف درجاتها من فرد لآخر، و ما ظهر أنّه تحكّم في ميدان ما؛ يغطّيه تحكّم أكبر حجما من إنشاديّ آخر في نفس الميدان.

إنّ النّهـوض بفنّ الإنشـاد و طبعه بالطّبعة الاستقلاليّة يفرض توظيف مواهـب الإنشاديّين و استعداداتهـم الفطريّـة و مهاراتهم الشّخصيّة و الجماعيّة، في إطار فكر استراتيجيّ، أو يتحوّل كلّ شيء إلى فوضى، تتصارع فيها المواهب بدل أن تتكامل، و تضرب الجهود بعضها بعضا بدل أن تتضافر، و رحم الله امرؤ عرف قدره.

باعتبار الإنشاد دعوة فنيّة، فهو سيستقطب مدعوّين له، و من مصلحته استقطاب أكبر عدد ممكن من النّاس، إنّه عالميّ موجّه للجميع، و ليس محصوراً في فئة أو طبقة، يعالج مشاكلهم لا يخرج عن الشّرع الحكيم، الذي يرسم له طريقه كاملة إلى آخر ثانية في الحياة.

و الاستقطاب يعني في أكثر حالاته التّنافس مع فنون غنائيّة أخرى، تنافساً يصل إلى درجة الصّراع، و خاصّة مع الفنون الغنائيّة الهدّامة، التي تخدّر عقول الأفراد و الجماعات، و تقضي على الوعي الاجتماعيّ، و بغضّ النّظر عن الباعث لهذا التّخريب المبرمج؛ فإنّ الفكر الإنشاديّ الحديث يجعل من التّغلغل وسط الجماهير صلب اهتماماته، تغلغلاً لا تذوب معه الشّخصيّة الفنيّة، أو تتميّع، كما لا يعني هذا التّغلغل إفساداً من نوع آخر، كاستعمال اللّغات العاميّة على حساب اللّغات الأكاديميّة الفصيحة، بحجّة أنّها الأقرب إلى الجمهور، لهو عذر أقبح من ذنب.

يستحيل على الإنشاديّ أن يستقطب الجمهور إذا لم يكن محترفا الاحترافيّة اللاّزمة لفنّه، التي يجب أن يبنيها العلم و ليست الأسبقيّة في الميدان، لأنّ الزّمن لا يصنع محترفاً إذا كان جاهلا، و لو أمضى 100 عام من عمره في السّاحة.

و لا معنى للاحترافيّة في غياب الاختصاص، فالإنشاديّ غير المختصّ في جانب معيّن؛ ليس محترفا في أيّ جانب، إذ الاحترافيّة ترتبط بالعلم، و المتوغّل في علم ما دراسة شخص ملك أقاليد الشّيء، متى ما أراد ولج، و متى ما أراد أنتج.

ترتبط أسس الإنشاد بين بعضها البعض ارتباطاً يجعل الكلّ كتلة واحدة متكاملة الأجزاء، حيث أنّ الإنشاديّ ليجد نفسه بين أكثر من أساسين استناداً إلى مبادئ الفلسفة الإنشاديّة الحديثة، و لعلّ أبرز مثال على هذا الادّعاء هو ضرورة توفّـر تكوين شخصي للذي لديه موهبة ما، فالاستعدادات النّفسيّة لا تكفي وحدها، بل يجب أن تتعزّز و تتقوّى بالعلـم، و متى ما حضر العلم حضرت معه الاحترافيّة، و متى ما حضرت الاحترافيّة جلبت الانتباه بتمكّن صاحبها في ميدانه، أي حصول الاستقطاب، الذي هو اتّصال من أجل التّواصل.

لا يمكن أن نجد في الواقع السّليم أسس الإنشاد تسير بمفردها، و كأنّها جزر منعزلة عن بعضها البعض، إنّها علاقات تبادليّة اعتماداً على الواقع، الذي بدورنا نؤثّر فيه رفقة قوى أخرى، فيُصنع واقع متجدّد متغيّر.

في هذا التّأمّل نذهب إلى المصطلحات التّالية : الإلزام، التّرقي، البوّابة، التّعزيز، السّبيل، الاقتضاء، و نحلّل كلّ مصطلح على حدى.

الانتقال من أساس استغلال التّكوين إلى استخدام الوظيفة يسمّى **إلزاما**، فالفرد ملزم بالعمل في هذه الحياة، بغضّ النّظر عن القطاع الذي ينتمي إليه، المهمّ أن يكون ذا قيمة أخلاقيّة خيّرة، و ما فيها من إفادة و منفعة للجماعة العالميّة، كما أنّ استخدام الوظيفة لصالح الدّعوة الفنيّة شيء يمكن أن يفيد الإنشاد كثيرا، فهو يمثّل ربحاً للوقت من جهة؛ أو بما يسمّى الوقت المضاعف، في نماذج مختلفة متنوّعة، فهناك وظائف يجد فيها الموظّف وقتا فارغاً لا يعمل فيه شيئا رغم أنّه متواجد في وظيفته، حتّى لا يُفهم أنّ الأمر متعلّق بالتّملّص من العمل، فما يمنع أن يكتب خلال الوقت شعراً إن كان شاعرا ؟، أو يلحّن نشيدا إن كان ملحّنا ؟، أو يكتب شيئا من كتاب إن كان كاتبا و مفكّرا ؟، أو يضع نظريّة يفيد بها الإنشاد إن كان فيلسوفا ؟، أو يخطّط لبرنامج ما إن كان معدّا ؟ ... الخ.

اختياره لما سيفعل يرجع له حسب ما يراه مناسبا له، و حسب الظّروف المحيطة به.

لكن يجب أن يعلم شيئا مهمّا للغاية، علاقة الإلزام تقوم على ملكيّة عناصرها، فالوقت المستثمر مثلا هو ملكه، لا يفعل فيه شيئا، أمّا إذا لم تكن العناصر ملكاً له؛ فيجب أخذ الموافقة من مالكها أو الموكلة إليه، مثل الآلات التي تكون في محلّ الوظيفة، خاصّة بها، فإنّ استعملها دون موافقة؛ فهو يستعمل شيئا لا يجوز له أن يستعمله، كالذي يستعمل خط الهاتف الخاص بالوظيفة ليجري اتّصالا مع آخرين، فيكلّم هذا و هذا، طالما أنّ الفاتورة لن يدفعها من جيبه.

يرتقي الإنشاديّ في علاقة تجمع أساس استخدام الوظيفـة المشغولة مع أســاس توظيـف الموهبة التي يتمتّع بهـا،

و التي تُعتبر عطـــاء من الله لعبده، يكلّلها العامل العاطفيّ، بما يخفّف من المشـــاقّ التي يحس بها إذا حُصر الأمـــر بالواجـب فقط، و النّفس البشريّـــة في أغلب الحالات تنفـــر من الشّيء الذي يُشعرهـا بالوجـــوب، لأنّه يوحي بالقيـد و المسؤوليّة، و تحب أن يكون لها هامش حريّة متّسع باستمرار، لهذا الدّافع تخدم الدّعوة الفنيّة، و إن أحبّت شيئا ذابت فيه لدرجة أنّها لا تقدّر الضّرر النّاتج عنه، فإذا زاد الشّيء عن حدّه انقلب إلى ضدّه، و لكن يجب الانتباه دائما قبل الوصول إلى درجة تذوب عندها الفكرة السّليمة.

هـذا من جهة؛ من جهة أخرى يجب عزل أثر التّرقي عن الإخلاص، فالإنشاد دعوة في ثـوب فنّيّ، كلّها لوجــه الله و لو قابلها مال يُستعان به، فالاستعانة ما هي سوى صورة ماديّة منهجيّة لا تأخذ مطلقا صفة الهدف، بمعنى آخر لا يجوز للإنشاديّ أن ينشط في الدّعوة لمجرّد أنّه يشعر بالسّعادة، أو أنّه يحس بالرّاحة، بل لأنّه جنديّ من جنود الدّعوة، يتطلّب وجوده في الدّنيا الأخذ بيد النّاس إلى الصّراط المستقيم، لا أن يلبّي ما تمليه عليه عواطفه، فقد يشعر اليوم بالسّعادة فهو واقف على قدم و ساق؛ و غدا ينتابه الضّجر فيترك كلّ شيء، و يبحث عمّا يعيد إليه سعادته المفقودة.

إذا كانت الاستعدادات الفرديّة و الجماعيّة متوفّرة؛ فهي عبث في الحالات العامّة، و مهما كانت هذه الملكات فإنّها لا تساوي شيئا دون وضع مفاتيحها موضع اليد، و الحصول على معرفة تمكّن صاحبها أو أصحابها منها.

العلم قوّة يملّكها الله لمن يشاء، و العلم بدوائره المعرفيّة المتداخلة لا يبدو إلاّ هياكل نورانيّة يتشكّل منها هذا الوجود، و الفلسفة الإنشاديّة باعتبارها علماً أيضا؛ تبحث في هذه الهياكل، قصد تقويتها و زيادة تماسكها حفاظاً على الوجود.

يعــدّ **توظيف المواهب** أمراً ذا أولويّة، و لكنّ الموهبة طريق مظلم على جانبيه صعـاب كثيـرة، و عوائـق طبيعيّـة و غير طبيعيّة، إنّها مشاكل إنشاديّة لا يمكن تذليلها إلاّ بالمعرفة العلميّة، فالمعرفة سبيل أمان لأنّها طريق نحو الحقيقة، و متى ما عُرفت خبايا الطّريق؛ كان الوصول إلى الهدف أسلم.

إذن **فالموهبة تتعزّز بالعلم**، الذي يرفعها عن العبث، و يمدّها بطاقة إيجابيّة محرّكة بدل الطّاقة السّلبيّة المبنيّة على الأوهام و الخرافات، و يجعل من الإنشاديّ صاحب العاطفة الجيّاشة المتحمّس عقلاً متفتّحا، له قاعدة فكريّة صلبة يتحكّم في الوجود عوض أن يتحكّم فيه هذا الأخير.

على الإنشاديّ أن يعمل عملاً ينفع به نفسه، فيجعل لنفسه مدخولاً ماليّا يعينه على سدّ حاجياته و حاجيات من يعول، و قد تضطرّه الحاجة أن يعمل عملا لا يناسبه، أي لا يتناسب مع إمكانيّاته، فهو يشغله للضّرورة، و لو منّ الله عليه بآخر مناسب له تماما لما تردّد لحظة، أمّا الإمكانيّات موضع الحديث فسهل فسيح الأرجـاء من علـم و ثقافـة و موهبـة و غيره ممّا يمكن اعتباره أدوات ذات إسهامات مفيدة، فإذا أحدث الله موهبة عند الإنشاديّ توافق مهنته أو وظيفته؛ فهي باب فتحه بكرمه تعالى، و المقام هذا يتطرّق إلى علاقة البوّابة التي تنقل الفرد من استخدام وظيفته استخداما تمليه الضّرورة و الواجب؛ إلى توظيف موهبة ملّكها الله له.

هـو باب من أبواب النّجـاح، ما دامت هنـاك عاطفة إيجابيّة تجاه عمل معيّن، فما المانع من توظيفها في عمل مأجـور ؟، و ما دام هذا العمل عملاً جائزاً شرعاً يقدّم خدمة للجماعة العالميّة، فإنّه سيتقوّى بهذه العاطفة، و يكتسب شحنة طاقة إضافيّة، بأن جعل ما تشتهيه نفسه يخدم ما يمليه عقله و قلبه.

و كما يكون التّرقي علاقة تبادليّة من الاستخدام إلى التّوظيف؛ يكون السّبيل في اتّجاه معاكس، أي الانتقال من توظيف الموهبة إلى استخدام الوظيفة التي يقتات منها الإنشاديّ، فحبّ الشّيء و إيجاد متعة في عمله و بلوغ نشوة عارمة و سعادة لا توصف؛ إنّما هو خيال في خيال، و اتّباع هوى، فأين الشّيء الذي يضمن لنا دخلا ماديّا نقضي به حاجياتنا المختلفة من مأكل و مشرب و ملبس و مسكن .... ؟.

للإنشاديّ متطلّبات و ضرورات يجب أن يوفّرها له و لأسرته البيولوجيّة، **توفيراً من أصل طيّب**، فهو من جهة يكسب ما يساعده على كريم العيش، و يتجاوز به الأزمات و الفتن؛ و من جهة أخرى يقدّم خدمة للجماعة العالميّة، بتأديته واجباً نحوها، و دوراً فيها لا يقلّ أهميّة عن أدوار إنشاديّين آخرين.

تخضع المهنة فيما تخضع للإحتياجات التي تحدّدها الجماعة العالميّة، في ضوء ما يرضاه الله لعباده، و عليه فقد تلعب بعض المهن دورا استراتيجيّا، في العالم، بحكم ما تمثّله من مفاصل للجسم العالميّ، و أعضاء حيويّة له.

و كما تظهر مهن جديدة أو تتدعّم؛ تتقلّص فاعليّة مهن أخرى أو تنعدم فتختفي، بناء على الواقع المتغيّر، الذي هو تجسيد لعالم الأفكار.

يقع الفرق بين الاقتضاء و التّعزيز في عنصر الانفتاح، فانتقال الإنشاديّ من أساس التّوظيف إلى أساس الاستغلال شيء محصور بين الموهبة و العلم، أمّا **الاقتضاء** فهو الانطلاق من كلّ أساس إلى أساس العلم، لأنّ كلّ أساس من

الأسس الخمسة للإنشاد؛ إلاّ و يحتاج الإنشاديّ إلى العلم لدعمه أو تقويته أو الحفاظ عليه ... الخ.

فالعلم يحتاج لنفسه حتّى يقوّي بعضه بعضا، و ميدان معرفيّ واحد ينكر ميادين معرفيّة أخرى أو يهمّشها بدعوى أنّها غير ضروريّة أو غير مهمّة؛ لا يمكن أن نعدّه سوى ضرباً من ضروب الجهل.

ما نفعل بالرّياضيّات إذا أنكرت أو همّشت الفيزياء ؟، أو الوراثة ؟، أو البيئة ؟، أو الفلسفة ؟، أو التّاريخ ؟ .... فالعلم دوائر معرفيّة متداخلة، لاحظ العبارة جيّدا : " دوائر معرفيّة متداخلة "، لا يمكن فصل أجزائه إلاّ ليسهل على العقل تناولها، أمّا نكران بعضه أو تهميشه تحت غطاء عقمه فجهل متعمّد، و لا نتكلّم هنا عن العلوم الضّارّة التي لا ينبغي التّطلّع إليها كالسّحر الأسود على سبيل المثال.

لا يمكن التّقدّم في وظيفة الإنشاديّ و مهنته ما دام لا يلقي بالاً للعلم، فقد يدمّر عمله بحسن نيّة، لا لشيء سوى لأنّه لم يهضم فكرة التّحكّم في الشّيء، و كيف تكون عمليّة التّحكّم إذا غاب المفتاح أو غُيّب ؟؟؟، و كيف تصل إلى مكان إذا لم تسلك الطّريق الموصل إليه ؟، طريقا جغرافيّا أو معنويّا أو شيئاً آخر ؟؟؟.

هذا التّأمّل محاولة إظهار للمرونة التي تتميّز بها أسس الإنشاد، و مهما بلغت عمليّة الإظهار من درجة؛ فإنّها قد تكون عاجزة عن بلوغ الحدّ الأعلى من الإظهار، فالتّشابك بين الأسس ما هو إلاّ دليل على تعقيد الوجود و تداخل الدّوائر المعرفيّة التي تحكمه.

22 - يزخر الإنشاد بحقول هامّة تهمّ كلّ جوانب الحياة الإنسانيّة، بل و تؤطّر الخطوط العريضة للفرد من أجل حياة دنيا مرتبطة بالحياة الآخرة، برهن على القيمة المنطقيّة لهذا الرّأي.

كان لانحسار الأناشيد في مصطلح المدائح فقط، رفقة ترويج مفهوم الأناشيد الوطنيّة، طبقاً لما هو محدّد في الأنظمة الاشتراكيّة خاصّة و ما شابهها، و الأنظمة السّياسيّة ذات الوجود الجغرافي غير العالميّ؛ أثراً بالغاً في نفوس مفكّري الإنشاد الذين رأوا أنّ هذا قتل صريح للفنّ الدّعويّ، و تمزيقا للجهود الإيجابيّة التي يمكن أن يلعبها الإنشاديّون بكافة اختصاصاتهم.

و إذا كان الإنشاد ينطلق من الدّين السّماويّ الثّالث، و يتّصل فاعلوه بالله أصل القوّة المطلقة، كمسلّمة و مبدأ و أساس و ركن؛ فإنّ له من قوّة الكينونة ما لا يقلّ عن قوّة الوجود، متجسّدة في حقوله الشتّى، بما يعكس ثراءه فغناه، فيجد فيه النّاس على اختلافاتهم ضالاّتهم المنشودة و أكثر.

من أجل البرهنة المنطقيّة على أنّ الإنشاد يملك خصوبة عالية؛ نستطيع بها السيطرة و من خلالها على كافّة جوانب الحياة؛ بل و يذهب بنا الرّأي إلى مدى أبعد من ذلك حيث يمتدّ الزّمن إلى مرحلة أخرى في صورة خلق جديد؛ فإنّ التطرّق للحقول الإنشاديّة و بناء نسق معرفيّ توضيحيّ هو برهنة عقليّة بالدّرجة الأولى على خصوبة تفتقر إليها باقي الفنون الغنائيّة الأخرى.

لدينا 6 حقول إنشاديّة : العقائديّة و الطفوليّات و الوطنيّات و النّسويّات و الأفراح و المدائح، كلّ حقل إلاّ و له عمل و تأثير على الإنسان، و دعونا نضع العقيدة في الرّتبة الأولى، فأيّ قيمة للبشر إذا كانوا في منأى عن الله الواحد الأوحد خالق الوجود و مدبّر أموره ؟، ماذا لو طرحنا تساؤلات عن درجة قوّة الفرد أو الجماعة هكذا دون صلة رابطة تقيس العلاقة العموديّة ؟، فهل تتفاجأ إن نمى إلى علمك أنّه مهما بلغت قوّة الإنسان فإنّه لا يعدو أن يكون ضعيفاً بأصله ؟!.

هذه هي الحقيقة، كلّ الوجود يستمدّ قوّته من خالقه، صاحب المطلق، و ما يحدث يوم القيامة إيقاف للدّعم المقدّم للوجود فينهار كلّ شيء من تلقاء نفسه، فأيّة قوّة لك يا مسكين و جرثومة لا تراها عينيك إلاّ بسلطان توردك مورد الهلكة ؟.

نِعم العين عينك سلمتَ من كلّ أذى.

و لكن ما هي العقيدة التي تجعل الإنسان قويّا ؟، ما هو المجال المطلوب منّا إدراكه كي يقع التّمثيل الاستراتيجيّ لإحداثيّات فعل و أفعال مباركة ؟.

العقيدة المقصودة هي الدّين الإسلاميّ بفهمه الصّحيح دون إفراط أو تفريط، و كلّ عقيدة سواه باطلة، مبنيّة على أسس خاطئة و مغشوشة، لا يقبلها الله لأنّها ليست صراطا مستقيما نحوه، للمجتمع الرّابع مساهمة فعّالة في إنشائها و الدّعوة إليها، إحداث تفاعل ظاهره الخير و النّفع، و حقيقته زيغ و ضلال، لاحظ جيّدا ... **المجتمع الرّابع.**

يقوم الإسلام على أركان خمسة؛ من أنكرها أو شكّك فيها أو غيّرها خرج إلى الكفر، فكلّ صلاة لا تكون على ما

يجب أن تكـون عليه مثلما تواتر عن الرّسول صلى الله عليه و آله و سلّم؛ فهي ليسـت بصلاة المسلميـن، و قس عليـه الزّكـاة و الصّوم و الحجّ و شهادة التّوحيد مفتاح الجنّة.

و في الإسلام سرّ محفوظ، إنّه كتاب الله المنزّه عن كلّ خطأ و نقص، القرآن الكريم، حبل الرّحمن إلى الأرض، تأمّل جيّدا في العبارة، فهي جوهر الخلاص و النجاة و الهداية، من أمسك به فلا يشقى على الإطلاق.

أريدك أن تنتبه إلى المسألة جيّدا، إذ ليس الحديث عن شيء عاديّ، بل هو و الله أكبر ممّا تتخيّله، دستور صالح عبر **الزّمكان**، بمدى صلاحيّة تتماشى طرديّا مع الوجود الإنسانيّ، منبع الدّوائر المعرفيّة المتداخلة، سلاح قهر للمجتمع الرّابع، المطلوب دراسته و تدارسه.

لا يمكن أن نعبد الله إلاّ كما يريد هو و يأمر، فإن شئت أو شئت.

من المفروض أن نقول حقل " العقيديّات " نسبة إلى وجود عقيدة واحدة، و لكن قلنا حقل " العقائديّات "، فهل مردّ ذلك إلى وجود عقائد كثيرة ؟؟.

هناك عقيدة إسلاميّة واحدة تمثّل الحقيقة المطلقة، أمّا المصطلح فيعكس اختلافات المذاهب الإسلاميّة فقط، فكلّ من السنّة و الشّيعة و الإباضيّة و غيرهم ممّن لا يخرجون عن الملّة السّليمة؛ لديهم اعتقادات خاصّة بهم، فهل يملك عاقل أن يدوس على كلّ من يخالفه ؟.

و كل هؤلاء لديهم في أناشيدهم ما يؤيّد و يعزّز عقيدتهم.

ما من شيء يُكتب له النّجاح الاستراتيجيّ كتنشئة الأطفال على العقيدة السّليمة، فهي تربية لهم عبر الزّمن، يتشرّبون القيم شيئا فشيئا، نهضة لهم، و هذا يكون في حقل الطّفوليّات، أناشيد تعالج مشاكل الطّفل برؤية إسلاميّة، زيادة على تنمية مرتقبة لمواهبه المتنامية باستمرار، إنّه الإعداد لرجل و امرأة الغد، و هو ما يضفي على التّربية بعدا مستقبليّا، فالطّفل المعدّ للمستقبل محور القضيّة التّربويّة، لأنّ التّربية تنمية مهارات و تقويـة مواهـب و استعـدادات، و صنع بيئـة تربويّة عالميّة تساعـد على أن يتنفّس كلّ من هو بداخلـها هـواء ينمّيه و ليس هـواء فاسداً يخنقـه و يقضي عليه.

" رجل الغد " أو " امرأة الغد " هو المصطلح الشّائع الاستعمال لدى البعض، و إنّ هذه العبارة لجديرة بالاهتمام، نظرا لاحتوائها على فكرة ذات أبعاد مختلفة، ففيها إلى جانب الكينونة الزّمن المستقبل، و لكن ألا تحسّ أنّ هناك فكرة مستترة، هي أنّ هذا الغد الذي نعدّ له الطّفل ذكراً كان أو أنثى؛ لا يأتي فجأة، أي لا توجد له حدود واضحة، و إنّما هي طريقة تبيان معنى لا غير، فلا توجد أجيال منفصلة عن بعضها البعض فيزيائيّا، أي جيل ينتهي عند ساعة كذا من يوم كذا من سنة كذا، الموت هنا ليس موضوع حديثنا، ففي الواقع نسمع عن عبارة " صراع الأجيال "، و هي إيحاء بوجود أجيال بينها صراع في أشكال مختلفة، و لنقدّم مثالا كي تظهر الصّورة أكثر؛ ففي المناطق التي عرفت ثورات تحريريّة؛ يسجّل الملاحظون صراعاً بين جيل الثّورة و جيل الاستقلال، الصّراع يشمل كافّة نواحي الحياة، و ربّما يتطوّر إلى صراع مسلّح، و مواجهات بين المحافظين على أشياء و الرّافضين لها.

قد يكون هذا شيئا عاديّا، و لكنّ الأمر يكون أكثر خطورة إذا أضحى بين أجيال متباعدة الزّمن بشكل كبير جدّا، تفصل بينها مئات السّنوات، و هذه مفارقة عظمى تمثّل انقلاباً على البشريّة في حدّ ذاتها.

هل تعلم لماذا اعتبر الله عقوق الوالدين من الأمور العظام ؟، ربّما يقول البعض أنّه نكران جميل و تمرّد على صنيع طيّب، أو على الأقل مذكّرة احتجاج على أفكارهما، لأنّ عقوق الوالدين بمثابة تمهيد لصراع بين الأجيال، و هو أوّل صورة له و أعظمها.

" الحقّ حقّ و هو أولى أن يُتّبع "، إنّها حقيقة لا يمكن مطلقاً التّغاضي عنها أو تناسيها، و لا يمنع هذا من إرجاع كلّ شيء إلى مكانه لتعود المياه إلى مجاريها.

حسّاس هو حقل الطّفوليّات لما يُخشى من أيّة عمليّة خروج عن السّيطرة، فالتّربية العامّة مناخ يشمل أنواعاً من التّربيات الخاصّة، كتربية المدارس، تربية النّوادي، تربية الجمعيّات، تربية الشّارع ... الخ.

إذا طرحنا سؤالاً جديداً و قلنا : أين يعيش هذا الطّفل ؟، رجل الغد و امرأة الغد ؟، لكانت الإجابة حتماً في منطقة من هذا العالم المكوّن من عدّة دول، تحكمها جماعات تُعرف باسم " الأنظمة الحاكمة "، و لدينا في الموقف قضيّة هامّة، إذ منها حقل يُعرف باسم " حقل الوطنيّات "، و هو المؤسّس عند القسم الكبير على فكرة الوطن الدّاجنة، في حين أنّ الصّحيح من التّفكير ينافي ما يتّخذه هؤلاء كمعتقد، فالوطن هو العالم بأسره، أين ما يوجد بشر على وجه هذه

البسيطة؛ فهم جزء من الحضارة الإنسانيّة، يعيشون في مساحة ما، على رقعة جغرافيّة و لو كانت جزيرة مجهريّة.

ممّا سبق يتأتّى لنا نسق معرفيّ جديد يسمّى " العالميّة " أو " الوطنيّة الحديثة "، بعيدا عن النّسق المعرفيّ الذي ساد لمدّة زمنيّة طويلة، فهي فكرة منغلقة على نفسها، تخدم رؤية جدّ ضيّقة، لها ضرر عظيم أكبر من أيّة فائدة أخرى تُرجى منها، **و لعلّ انتشار وسائل الإعلام ما هو سوى خطّة لتربية النشء الجديد على إحساس التّقارب فيما بينهم، كتمهيد نفسيّ يجعلهم يطالبون بدولة عالميّة واحدة**، يُلغى فيها الجيش إذ لا خطر خارجيّ **حقيقيّ** سيهدّد سلامتها، مع الحفاظ على أجهزة الأمن الأخرى التي تخدم الوضع العالميّ الجديد آنذاك.

و في الوطنيّة الحديثة تدخل جميع الأناشيد التي تعزّز لأفكار لا تخرج عن المفهوم المولّد، كأناشيد البيئة، أو أناشيد اجتماعيّة (الفقر، النّقل، العمل و البطالة ... الخ)، و منها الأنشودة السّياسيّة التي تعالج الطّرح السّياسيّ الجديد، في ظلّ دولة عالميّة واحدة.

لا ينزاح عن فكر قارئ الخريطة الإنشاديّة أنّ معالجة المواضيع تختلف حسب نوعيّتها و نوعيّة الجمهور الموجّهة إليه، فكما تعالج الأناشيد بأسلوب جدّي؛ تعالج بعض الأناشيد قضاياها بأسلوب هزليّ فكاهيّ، شرط ألاّ تخرج الفكاهة إلى مساحة تُغضب الله عزّ و جلّ، و هذه النّوعيّة من الأناشيد لها دورها في نفوس أفراد الجماعة العالميّة، و تدخل ضمن الدّائرة الأناشيد الرياضيّة، شرط ألاّ تلهي النّاس عن أولويّاتهم، و ألاّ تكون وسائل إلهاء الأفراد عمّا خُلقوا له، فهي ترفيه و تسلية من جهة؛ و في الوقت ذاته تربية من جهة ثانية.

من غير المعقول أن تعيش الجماعة العالميّة بجنس واحد فقط، الرّجال دون النّساء أو النّساء دون الرّجال، فهذه فكرة لا يمكن مطلقا أن يُكتب لها النّجاح، لأنّها تنافي فطرة البشر، فلا يجب أن يتبنّاها أحد، سقيمة عقيمة و لو بُرهن عليها ما يُتّخَذ العلم عليه إزارا، فالدّور الذي تلعبه المرأة في المجتمع دور حيويّ استراتيجيّ إذا ما قورن بدور الرّجل.

تعالج الأناشيد قضايا المرأة أيضا، المرأة المسلمة التي تعي بصدق مدى المهمّة التي تنتظرها، فهي أوّلا و قبل كلّ شيء خلق الله المكلف بالعبادة، و هذا ما تعنيه العلاقة العموديّة، ثمّ تأتي العلاقة الأفقيّة بما تشمله من أخلاق و التزامات.

يعالج حقل النّسويّات المواضيع التّالية على سبيل المثال لا الحصر : ستر المرأة بالمعنى العام، الحياء، تجمّلها لزوجها، تحليها بالنّزعة العلميّة، علاقتها مع الأهل و الأقارب و الجيران و الصّديقات ... الخ.

من شأن هذه المواضيع و غيرها ممّا يدخل في حيّز المرأة أن تصنع مجالاً خصباً للإنشاد، و لسنا بحاجة ماسّة لقول هذا، أو حتّى لنضعه موضع التّساؤل، رغم قيمته الجوهريّة، فالمرأة كائن إنسانيّ جدير بالاحترام، لأنّ الإسلام كرّمها تكريما خاصّا، و الإنشاد تعبير فنّي عن هذا التّكريم.

لم يهمل الإنشاد العواطف البشريّة، و خاصّة الأفراح التي تعكس فسحة الدّين، و هي على اختلاف أنواعها تشي بنوع من الدّيناميكا الاجتماعيّة غير المباشرة، كون التّرويح عن النّفس مطلب أساسيّ و ضروريّ يخفّف مشاقّ الحياة و الضّغوط التي تنخر وجود الإنسان، كما تجسّد مشاعر الجماعة العالميّة السّارة، كالزّواج و التّخرّج و الولائم، التي تزيد من التحام أفراد المجتمع فيما بينهم، و كلّ صنف آخر يدخل ضمن إطار الفرح.

من المفروض أن يقابل الحزن الفرح، أي أنّه مثلما لدينا أناشيد الفرح؛ يجب أن تكون لدينا أناشيد نعبّر من خلالها و بواسطتها عن آلامنا، و خاصّة أناشيد تعالج أحزان آل البيت عليهم السّلام، و ما تعرّضوا إليه من فتن و اضطهاد، لا لشيء سوى لأنّهم قالوا كلمة حقّ في مجتمع بدأ الفساد يدبّ فيه شيئا فشيئا.

و سواء رضينا بأن يُنظر إلى القضيّة من منظور أفراح آل البيت و أحزانهم؛ و أناشيد الأطفال، ثمّ باقي الأناشيد أوّلا؛ و ننطلق ثانياً من هذا التّصنيف إلى الجماعة العالميّة؛ باعتبار النّظرة الخاصّة لآل البيت النبويّ الكرام؛ أم لم نرضَ؛ فإنّ الحقيقة واحدة و الزّاوية تختلف.

إنّ أفراح آل البيت عليهم رضوان الله تعالى من أفراح الجماعة العالميّة، و أحزانهم من أحزان الجماعة العالميّة كذلك، فاضطهاد كلمة الحق قانون من قوانين الطّبيعة، على ضوء الخلفيّة الفلسفيّة للإنشاد المتمثّلة في فلسفة العدوّ المحتمل، في إطار الصّراع بين قوى الخير و الشرّ (المجتمع الرّابع).

إنّ العقيدة الإسلاميّة هي أصلح العقائد عبر **الزّمكان**، و لو فرضنا أنّ الجنس البشريّ سينتقل للعيش على كوكب آخر في هذا الكون؛ لكانت العقيدة الإسلاميّة مرجعيّة جوهريّة له دون كافّة المرجعيّات، هذا ما يفسّر وجوب ارتباط كلّ شيء في هذا الوجود بالعقيدة، لأنّه ارتباط واقعيّ موجود هكذا في الأصل، و ما كان أبداً اجتهاداً منّا أو من غيرنا، فاتّعظ يا من ترى بنور قلبك.

و إذا دخلت الأناشيد العقائديّة التّصنيف من أوّله؛ فإنّ حقل المدائح بما يشمله من ثراء واسع يتّخذ لنفسه مكاناً أيضاً بين الحقول، فهو مجال خصب كذلك لمواضيع على غرار سيرة الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، آل بيته الكرام و الصّحابة الأفاضل، حاملي لواء العقيدة بعده.

و ربّما تختلط الفكرة بغيرها في هذه النّقطة، لما يعلق بالذّهن من أفكار مسبقة؛ أو تشويش يطال مجال النّشاط، و لكن يرجى التّفضّل بالعلم أنّ خصوبة الإنشاد ليست في تنوّع الحقول الإنشاديّة فحسب؛ بل يتجاوز ذلك إلى ميادين تقاطع، ممّا يبرهن ببعد ثانٍ على تلك الطّاقة المرتبطة بالسّماء، فكيف يمكن أن تتمّ تربية طفل بمعزل عن المدائح مثلاً ؟، فهو تشويه لمبدأ العقل المتّحد، و كيف تكون المحافظة على المجتمع العالميّ كوحدة واحدة إذا أهملنا العقيدة الصّالحة لكلّ زمان و مكان ؟، و نُظر إلى الجماعة العالميّة نظرة غير صحيّة تهمل المرأة أو تحرّف دورها ؟.

تتميّز الحقول الإنشاديّة ببعدين، بعد يوفّر قيمة فعليّة مضمونة بالمواضيع المثارة، و بُعد نلجه بطريقة تناول هذه المواضيع، و يبقى الإنشاد بفلسفته ذات المبادئ العشرة أقوى الفنون الغنائيّة، و إن أردنا المقارنة؛ فإنّنا سنلج بعداً ثالثاً يعكس مدى الخصوبة، لأنّ كلّ فنّ غنائيّ إنّما يأخذ اسمه من شخصيّته، و غالباً ما تكون شخصيّات الفنون الغنائيّة خاضعة إمّا للكلمات أو للألحان أو للأسلوب، في حين أنّ فنّ الإنشاد لا يخضع لذلك، فهو متفتّح على كلّ النّظراء، ما دام بعيداً عن استعمال آلات العزف الموسيقيّة، و يقوم على فلسفة متّصلة بالسّماء، إنّه بصدق الأصل في أزمنة يكون بديلاً فيها عن غيره إذا غاب الفعل المتقدّم.

23 - " المنتج الجيّد يروّج لنفسه بنفسه "، دافع عن هذه الأطروحة مبيّنا ما تنطوي عليه من أفكار.

يقتضي الدّفاع عن هذه الأطروحة معرفة ملمّة بما تحويه العبارة أوّلا، و ما توحي به ثانيا.

إنّ المنتج الجيّد هو منتج يحمل خاصيّة الإتقان، أي إحداث أكبر قدر من المنفعة المرجوّة منه، فهو بهذا بعيد عن الرّداءة على كافة المستويات، إذ لا يُعقل أن ننتظر شيئا ذا قيمة إيجابيّة عالية إذا غابت العوامل المؤدّية إلى ذلك.

و الجوهر يكمّله المظهر، فالنّفس تهفو إلى الجمال، و تتلقّف القيم الجماليّة تلقفا ينسيها تماماً في محتويات الشّيء المعروض أمامها في أغلب الأحيان، و لا نجاح على الإطلاق إذا لم يتّحد المظهر مع الجوهر.

المنتج الجيّد يروّج لنفسه بنفسه من هذه الزّاوية، إتقانه سبيل جعله مقبولاً عند جمهوره، و إذا عرف الجمهور أنّ المنتوج الذي يُعرض عليه يحوي عيوبا؛ اعتُبر ذلك نقصاً فيه، فنُفر منه، ليس هذا فحسب؛ بل قد يتعدّاه إلى إحداث دعاية سلبيّة ضدّه و ضدّ أصحابه.

عندما ينتج الإنشاديّون منتجا ما؛ فإنّهم مجبرون على إخبار الجمهور عنه، كي يقتنوه، إذا كان هذا المنتج موجّها للجمهور بطبيعة الحال، و في هذا النّهج سيستعملون الإعلان، إذا كان هدفهم تعريف النّاس بالمنتج، أو سيستعملون الإشهار للوصول إلى إقناع الجمهور باقتناء المنتوج.

و عليه فالإعلان يفتح الطّريق نحو الجمهور، و هو الخطوة الأوّليّة للإشهار، و إذا كان المنتج ذا جودة عالية، فإنّ الإشهار في هذه الحالة سيكون صادقاً لا غبار عليه، و لكنّ مشكلة كبيرة ستحدث إذا كان المنتج رديئاً في الجوهر، حيث سيكون الإشهار عبارة عن خدعة مدروسة، حتّى إذا تفطّن لها الجمهور انقلب على المنتج و أصحابه.

يسهّل المنتج الجيّد وظيفة الإشهار، و كلّما كان رديئا تطلّب إشهاراً أكثر فاعليّة، من أجل عمليّة الإقناع، و يتحوّل الموقف هنا إلى فرصة يطلبها الإنشاديّ من أجل إثبات صدقه و تأكيد الثّقة الموضوعة فيه، لاحظ هذا جيّدا.

ينقسم الإشهار إلى أنواع؛ منه ما هو مسبوق لتهيئة الجمهور نفسيّا و عقليّا قبل صدور المنتوج، فمن المفروض في هذه الحالة أن تسود الجمهور حالة ترقّب و انتظار، و إشهار مرافق يكون متزامناً مع صدور المنتوج، و آخر ظرفيّ بعد مرور فترة على صدوره، و قد تمثّل هذه المرحلة ربطاً مع منتوج آخر سيصدر، فتكون إشهاراً مسبوقاً في الوقت ذاته، و تخضع هذه الأنواع من الإشهار إلى سياسة الإنشاديّ و استراتيجيّته في التّرويج لأعماله، و لا يُشترط أن تكون جميعها موضع التّنفيذ، بقيد الانتباه إلى عدم حدوث تناقض بين الجانب الدّعائيّ و الجانب الأمنيّ، فالحرص على الدّعوة حرص على أمن الإنشاديّين، و توخّي أعلى درجات الحذر هو محافظة على الأعمال المقدّمة من كلّ تهديد يتأتّى بكشفها قبل الأوان.

لا يعني المنتوج الجيّد نجاحاً مطلقاً دائما، حيث أنّ الكثيرين يربطون الجودة بالنّجاح المطلق، فالاحتمالات المتغيّرة أمر وارد باستمرار، نظراً للظّروف المتجدّدة، و العوامل التي تطرأ على الواقع بين الفينة و الفينة، و كلّها تعمل على

إحداث مفاجآت سارة و غير سارّة، و ربّما تصل الدّرجة إلى اتّخاذ قرارات عشوائيّة مستعجلة ممّا يزيد الطّين بلّة، و تزيد الهوّة عمقاً و اتّساعا بين الإنشاديّ و الجمهور.

24 - المدرسة أشمل من التيّار.

ذمّ البعض التّطوّر الإنشاديّ الذي عرفه مطلع القرن 21، بما حواه من مظاهر سلبيّة و آليّات انعكست بالنّقيض على ما يُفترض أنّه عمل جاد يساهم في الرّقيّ الفنّيّ للنّشيد و الأنشودة، و ظهرت أصوات متعدّدة التّوجّهات الأيديولوجيّة، تنادي بعدّة آراء، و تعاظمت النّقاشات و تطوّرت، فكان ممّا نودي به العودة إلى مدارس منشدين غدّوا السّاحة الإنشاديّة في النّصف الثّاني من القرن 20، بأعمال رفيعة المستوى، رغم الإمكانيّات المتواضعة التي كانت بحوزتهم، و كان من تعاظم النّقاشات حول الحالة المزرية التي آل إليها الإنشاد؛ أن دعت أفكار إلى تعميم مدارس هؤلاء المنشدين مع الدّفع بها قدما في اتّجاه نسخة متجدّدة دائما، للحيلولة دون الذين غابت عن عقولهم فكرة الدّعوة بصفة عامّة، و الدّعوة الفنيّة بصفة خاصّة.

لم تكن هذه الفكرة سوى اجتهاد لتطوير الإنشاد كفنّ مستقلّ بنفسه، و كعلم قائم بذاته، و لكن هل كان هذا صحيحاً من النّاحية النّظريّة و النّاحية العلميّة في آن واحد ؟.

تعدّ نشأة المدارس ظاهرة لها قدم راسخة في الواقع الحياتيّ، و لكنّ هناك فرق شاسع بين المدرسة و التّيّار، إذ أنّ الأولى مجال يضمّ عدّة تيّارات، تعبّر عن مدى حريّة التّفكير داخلها، في إطار مجموعة من القواعد التي تتأسّس عليها، و لا نذهب بعيداً إذا قلنا أنّ التّيّار صورة ابتدائيّة للمدرسة، به تنشأ و تتطوّر، حيث يعمّ المكان مجموعة تيّارات، كلّ تيّار هو امتداد أيديولوجيّ لإنشاديّ ما في ميدانه، سرعان ما يتحالف مع تيّارات أخرى لا تمسّ مبادئه، ثمّ خطوط حمراء تقف عندها كلّ تيّارات المدرسة الإنشاديّة، و تختلف قوى التّيّارات باختلاف قوى التّفكير، و تتفاعل بينها و بين تيّارات مدارس إنشاديّة أخرى.

لا يمكن للتيّار أن يعيش منعزلا، في منأى عن التّفاعل مع متغيّرات خارجيّة، كما لا يمكن أن نجد شخصا ليست لديه تربية، و في هذه فائدة عظيمة للمدرسة الإنشاديّة، حيث حركيّة التّيّار لا توحي بحريّة التّفكير فحسب؛ بل هو في حدّ ذاته مسار تجديديّ، و قناة حيويّة للمدرسة، بها تعيش.

بناء على ما سبق؛ فإنّ المدرسة لا يمكن لها الاستمراريّة دون التّيّارات التي تحويها، ضعف التّيّارات معناه خمود الأفكار، معناه جمود المدرسة و تأخّرها عن موكب المسيرة الإنشاديّة.

لا وجود لمدرسة إنشاديّة في غياب تيّارات أفراد، فالمدرسة يجب أن تحوي بنية تحتيّة تمثّل قاعدة و أساسا لها، و هو ما يعبّر عنه بمصطلح " التّيّار ".

إذن فالإنشاديّ لا يمكن له أن يؤسّس مدرسة، إنّما تيّاراً فكريّا تجاه جوانب معيّنة، سيجد في هذا العالم من يوافقه في أشياء و يعارضه في أشياء أخرى، و الاتّحاد بين عدّة تيّارات هو ما يُطلق عليه مصطلح " مدرسة ".

25 - وراء كلّ رجل عظيم امرأة.

تُقاس عظمة الرّجال بما يقدّمونه من جهود و تضحيات في سبيل إعلاء كلمة التّوحيد، و كم من رجل عاش لنفسه فمات و كأنّه لم يعش أبدا، و كم من رجل عاش لله فما مات حتّى أضاف للحضارة البشريّة صروحاً غدّت سيرورتها الزّمنيّة، و ما زال البشر حتّى هذه اللّحظة يعيشون على كرم الكريم.

ليست العظمة فيمن يفيد الإنسانيّة باختراعات و أبحاث و أفكار، و هو بعيد كلّ البعد عن الله، ما تنفعك أعمالك لو كنت غير موحّد، الحق عنك غائب و لو اعتقدت أنّك على حقّ ... أو أنت الحقّ.

و كما تكون العظمة للرّجل تكون للمرأة، طبعاً بعد عظمته عزّ و جلّ، غير أنّ المتأمّل في القضيّة المطروحة للمناقشة؛ يستشفّ تلك العظمة الممزوجة بروح التّعاون و التّكاتف، تلك العظمة المدعّمة بجبهة إسناد معروفة باسم " الزّوجة "، و بما تحمله هذه العلاقة الطّيّبة من عواطف و مشاعر و أحاسيس جميلة، و ما تنطوي عليه من أبعاد لا يمكن أن تكون إلاّ في الميثاق الغليظ.

تحتاج الدّعوة الفنيّة إلى عظماء يبلّغونها للنّاس، الجنس المناسب في المكان المناسب، أي أنّ هناك مكاناً مخصّصا

للرّجل وحده دون المرأة، و مكان مخصّص للمرأة وحدها دون الرّجل، درءاً للفتنة، حيث أنّها تحدث إذا ظهر الرّجل في غير مكانه المناسب له، و ظهرت المرأة في مكان غير مكانها المناسب لها، و تختلف درجات التّناسب من مكان إلى آخر و من زمن لآخر.

إنّ ظهور الرّجل في الواجهة يفرض بحكم التّعاون و الإماهة أن تكون المرأة في الخلف دائما، تعمل كجبهة دعم و إسناد.

إنّ تركيز المرأة الفطريّ على العاطفة، و لو كانت في حدّ ذاتها سلبيّة؛ خطوة إيجابيّة جدّا إذا نُظر إليها من زاوية التّكامل، فالرّجل بتركيزه على العقل سيتغيّر إلى شخص جافّ الشّعور، بليد الإحساس، تحت ضغط نفسيّ و عصبيّ متزايد، إذا لم تفرّغ شحناته و تمتصّ؛ نسف نفسه و ما كان في محيطه، و على هذا الأساس يكفي أن تولّد المرأة مجالا يشعر فيه الرّجل أنّه في منطقة استرداد القوى و تفريغ الطّاقات السّلبيّة.

نعالج الأطروحة بناء على الإيحاء التّالي : وراء كلّ زوج عظيم زوجة.

يستطيع المتمعّن لها أن يفهم طيفاً واسعاً من شخصيّات النّساء، فقد تكون أمّا، أو أختا، أو بنتا، غير أنّنا نحلّل الأصل الذي تستمرّ به الحياة البشريّة، و نغمض أعيننا عمّا يشذّ عنها، فإلى متى تستمرّ الأمّ في دعم ابنها ؟، و إلى متى تستمرّ الأخت في دعم أخيها ؟، و إلى متى تستمرّ البنت في دعم أبيها ؟ و هل هذه الأنواع من الدّعائم عادية طبيعيّة مقارنة بما هو عاديّ أكثر مكانها و طبيعيّ ؟، من حيث المستقبل ؟.

هل هناك دعم أفضل و أنجع ممّا تقدّمه الزّوجة لزوجها ؟؟؟.

الزّوجة تكمّل الزّوج في أداء رسالته، رفيقة دربه، و يمكن لها بما تملكه من رقة و حنان و دلال؛ أن تحدّد مناخاً خاصّا في أسرتها، يسوده الأمان و الهدوء و الطّمأنينة.

بدلالة هذه القضيّة؛ يمكن لنا أن نفهم شيئا آخر، فالمرأة لها دور قائم في الدّعوة الفنيّة، خاصّ بها، كأن تنشد للنّساء في الأفراح، أمّا زوجها فيلعب في هذه الحالة دور الإسناد، و لتقلب المعادلة : وراء كلّ امرأة عظيمة رجل.

إنّه تكامل الأدوار، و تكامل الجنسين.

26 - تفرض العالميّة التّعرّف على الفنون الغنائيّة الأخرى، و إحداث تطعيم بينها و بين فنّ الإنشاد، ما دخل الأسلوب في هذه القضيّة ؟.

إنّها إحدى المبادئ العشرة للفلسفة الإنشاديّة، تقوم على مخاطبة الخصائص المشتركة لكلّ المجتمعات، التي هي في الأصل مجتمع عالميّ واحد، محافظة على ما يميّز مجتمعاً عن غيره من الميزات غير الضّارّة، معتبرة الشّعوب و القبائل جماعات كبيرة لها حضارتها التي تنفرد بها عن بعضها البعض، و ثقافتها الممتدّة عبر بعدي المكان و الزّمان.

الفنون الغنائيّة جزء من ثقافة الشّعوب؛ بما تحمله من إيحاءات و أبعاد، و بما تعكسه من مفاهيم لأشياء بذاتها، و زوايا رؤى يحدّدها التّفكير بطبيعته.

لا داعي لأن نتعرّض لاختلافات مستويات التّفكير لدى الأفراد، هي قضيّة مستوعبة نظراً لتباين المواهب و الاستعدادات الفطريّة من شخص لآخر، و تفاوت سلّم القوى العقليّة من فرد لآخر غير أنّنا سنعالج جانباً يأخذ من الفكرة السّابقة منطلقا.

تختلف ثقافات المجتمعات لاختلاف العوامل المؤثّرة عليها، و إذا كانت الفنون الغنائيّة جزءاً من هذه الثّقافات؛ فإنّها تخضع لقيمتي السّلب أو الإيجاب، بمعنى آخر؛ ثقافة أيّ مجتمع كان تحوي أشياء إيجابيّة و أخرى سلبيّة، فيحدّد الفنّ الغنائيّ السّائد جملة ما يحدّده الشّخصيّة القاعديّة للمجتمع، و بالتّالي فإنّ هناك عمليّة تسلسل منطقيّة عقليّة، يحدّد الفنّ الغنائيّ من جملة ما يحدّده هويّة الشّخصنة التي يحملها الفرد إذ أنّ الفنّ الغنائيّ و الشّخصيّة في جدل، تربط بينهما علاقة تأثير متبادلة.

للفنون الغنائيّة أنواع كثيرة، منها الدّينيّة، و هي المختصّة دون غيرها بالتّركيز على دين معيّن، مثل التّرانيم النّصرانيّة و المزامير اليهوديّة، و ما تكون عليه الحياة تحت ضوء هذه الأديان، و بما أنّ المسيحيّة و اليهوديّة قد جرى تحريفهما؛ فإنّ ما يُشتقّ منهما أو يُبنى عليهما لا يمتُّ للحقيقة بصلة، و يبقى الإسلام الدّين الوحيد الأوحد صاحب الرّسالة الخالدة.

و ليس غريباً عن صاحب التّفكير النيّر أن يوظّف الفنون الغنائيّة المختلفة في الإنشاد، فالإسلام عالميّ لا عولميّ، لا يفرض تعاليمه على أحد، فمن شاء كفر، و من شاء آمن، و هو أرقى الأديان بما نسخ به الله الشّرائع السّابقة و أفضلها، و عليه فإنّ كلّ ما يتّصل به؛ تنتقل إليه الصّفات و الخصائص في حدود ماهية الأشياء.

تتطلّب الدّعوة الفنيّة الوقوف عن كثب على ما هو مفروض من أجل نجاحها، و لعلّ أهمّ خاصيّة في العالميّة هي الأخذ من الفنون الغنائيّة بما يوافق الشّريعة الإسلاميّة، فيطعّم الإنشاد بها، و هذا ما معناه استعمال الجوانب الإيجابيّة في ثقافة الشّعوب و القبائل، مع ردّ السّلبيّة منها، فتتكامل الإيجابيّات.

وصلنا هنا إلى قضيّة الأسلوب الإنشاديّ.

عمليّات الأخذ و الرّدّ من الفنون الغنائيّة الأخرى تنتج تفاعلات تدخل ضمن تأثيراتها شخصيّة الإنشاديّ، و لكن يجب أن تتقيّد هذه العمليّات بخطوط حمراء، تحفظ للإنشاد هويّته من التّميّع، و شخصيّته من الاضمحلال، و نسقه من التّفكّك، و بنائه من الانهيار، و إذا لم توضع الخطوط الحمراء في مقام الاحترام؛ لم يعد هناك شيء يسمّى إنشادا.

صناعة الأسلوب الذي يميّز إنشاديّا عن غيره مزيج من أساليب في ميادين، كالشّعر و اللّحن و التّوزيع و الأداء، يحكمهم التّفاعل، و كما يختلف التّأثّر بهذه الأساليب و ما تخلّفه من أثر؛ يختلف الزّمن و المكان في درجة فعلهما عليها.

إنّ تقليد أسلوب معيّن خطأ كبير من الأخطاء الجسيمة التي يقع فيها الإنشاديّون، فالنّجاح يفرض فرضاً إنشاء أسلوب خاصّ جديد مخالف، بما يتوفّر من إمكانيّات في إطار مبدأ فلسفة الارتقاء الحيويّ، و صناعة متجدّدة لا تسكن، للمضيّ قدماً نحو المستقبل.

27 - يقول عزّ و جلّ في كتابه العزيز : « إنّا نحن نزلنا الذّكر، و إنّا له لحافظون »، حلّل عمليّة الإسقاط.

هي الآية التّاسعة من سورة الحجر، يحوم معناها حول حفظ الله لكتابه الكريم المتمثّل في القرآن العظيم من كلّ تزوير وتزييف وطمس، خلافاً للكتب السماويّة السّابقة التي شاء الله عزّ و جلّ لها أن تُحرّف، فالتّوراة و الإنجيل الحاليين ليسا هما التّوراة و الإنجيل الذين أنزلهما تعالى على سيّدانا موسى و عيسى عليهما السّلام على التّرتيب.

الله وحده هو الحافظ مانح القوّة اللاّزمة للحيلولة دون إضعاف الأشياء، من أجل بقائها في هذا الوجود، و لو سحب سبحانه قوّته لضاع كلّ شيء، إذن فإنّ الأصل هو الذّات الإلهية وحدها لا شريك معها، أمّا مظاهر القوى الموجودة في العالم ما هي سوى سلفات و منح تكرّم بها تعالى على مخلوقاته، من إنسان و حيوان و نبات و جماد، و ما زال يتكرّم.

لنقف عند هذا الحدّ في هذا الموضوع، منتقلين لموضع آخر.

كلّ شيء يفنى لأنّه لا يملك وجوده من تلقاء نفسه، و الأفكار واحدة من هذه الأشياء، إذ الخلود لله فقط دون غيره، و في هذا السّياق فإنّ الإنشاديّ مكلف بتبليغ الدّعوة الفنيّة، دون أن تكون له مسؤوليّة على الذين رفضوا دعوته، فالله تعالى نفى مسؤوليّة الرّسول صلى الله عليه و آله و سلّم على النّاس الذين كذّبوه، و أخبرنا زيادة على ذلك بأنّ قضيّة التّبليغ في عنق نبيّنا أمانة يؤدّيها، و قضيّة المحاسبة شأن إلهيّ محض، ينفرد به عزّ و جلّ عن الآخرين، فلا الملائكة يملكون الحقّ في محاسبة الخلائق، و لا حتّى المقرّبين منهم، فكيف يكون للإنشاديّ ما ليس بكائن لخاتم النّبيّين و الرّسل ؟. ألف صلاة و سلام عليه و آله و صحبه.

على الإنشاديّ أن يبلّغ الدّعوة الفنيّة بوسائل مشروعة، فالغاية لا تبرّر الوسيلة، بل تقتضيها فقط، و شتّان بين التّبرير و الاقتضاء.

ما أدراك إن استعملت أساليب غير جائزة شرعاً أن يتقبّل الله دعوتك ؟.

إنّ الله طيّب لا يحبّ إلاّ الطّيّب، ضع هذه الفكرة في قلبك دائما قبل عقلك.

من غير المعقول أن يحمّل الإنشاديّ نفسه تبعات فوق طاقته، و إنّما كلّ ما يفعله هو العمل برؤية استراتيجيّة، و الدّعاء بقبول أعماله خالصة، و حفظ الله لها من كيد الأعداء، و غير هذا فهو حرص خبيث، يورد صاحبه مورد الهلاك، حيث سيدفعه دفعاً إلى اتّخاذ تدابير وقائيّة محرّمة، بنيّة الحفاظ على مستقبل الدّعوة، سيظلم النّاس و سيرتكب أفعالا مؤذية من أجل غاية نبيلة لنا جميعا، و مهما فعل؛ فإنّ الحرص الجهنّميّ سيغريه بالمزيد حسب التّطوّرات، و الفعل المنبوذ حاليا سيكون مستحبّا غدا و إستلزاميّا بعد غد.

إنّ ترك الفراغ الفكريّ خطر جسيم، إنّه ثغرة في حصن الدّعوة ينفذ منها العدوّ، يصول و يجول دون أن يتصدّى له أحد، و من هذا الذي سيجده بالمرصاد إذا انسحب الجميع كلّ لمسألته؛ و تركوا مواقعهم في الحصن خالية ؟.

إنّ العمل جوهر الحياة الدّنيا و الله خير الحافظين، تأمّل معي قليلا؛ هل كان الله عاجزاً على تنزيل نسخة مطبوعة طباعة فاخرة من القرآن الكريم لمّا أنزل على رسوله الكريم صلّى الله عليه و آله و سلّم آخر آية منه ؟، ما سيكلفه تعالى إن أنزل طبعة بماء الذّهب يكون القرآن الكريم بها محفوظاً حسب التّفكير الإنسانيّ، فالمفروض أن يكون هذا، نسخة كاملة فاخرة ينزل بها جبريل عليه السّلام ضماناً للكتاب المقدّس من التّحريف، لكن ما جرى عبر التّاريخ يعاكس هذه الفكرة التي يراها القسم الكبير من النّاس تقنيّة استراتيجيّة للحفظ، كانت آيات الله تعالى تُحفظ في الصّدور، و تُكتب على الجلود و العظام، ثمّ لمّا خُشي عليه من الضّياع؛ أخذ المسلمون يجمعون كلام الله في كتاب حسب ما توفّرت عليه تقنيّة ذلك الزّمان، و تمّ تدمير كافّة النّسخ الأخرى قطعاً لطريق التّزوير.

لاحظ أنّ كلّ من قام بهذا الجهد له من الأجر ما لا يعلمه إلاّ الله، نظير نيّته السّليمة و عمله، و لو كان القرآن الكريم جاهزاً في نسخة فاخرة لما كان كلّ هذا العمل من المسلمين، أي لما تمّ تحصيل هذا الأجر.

لاحظ للمرّة الثّانية على التّوالي أنّ سيرورة التّاريخ تمثّل فتنة للنّاس، الحدّ الأوّل منها للذين كانوا يريدون طمس النّور الإلهيّ الحقيقيّ، و الحدّ الثّاني للذين كانوا حريصين على دعوة الله و هم يرون كلام الله مشتّتا عرضة لأخطار متعدّدة، و رغم هذا فالله حفظه، و بحفظه تحدّى أعدائه مثبتا قوّته المطلقة، و إن طال الزّمن و تشابكت الأحداث المتعاقبة.

إذن فالعمل هو جوهر الحياة الدّنيا، و بناء على قيمته الأخلاقيّة يكون الجزاء في الآخرة.

لعمليّة الإسقاط المطلوبة أركان تبدأ بالمنطلق، و هو الخطّ الذي يجب أن يكون التّوحيد مناخه العام، فالله لا يقبل من غير موحّد و لو عمل ما عمل، ملئ المحيطات و اليابسة، ثمّ يأتي الرّكن الثّاني و هو اتّباع الوسائل المشروعة في العمل، ثمّ الرّكن الثّالث و هو التّوكّل عليه تعالى، فإذا وفّر الإنشاديّ كافة العوامل المساعدة على تحقيق ما يصبو إليه؛ فهو في هذه الحالة أخذ بالأسباب التي وضعها الله في الوجود فليتوّج هذا الإنجاز بالتّوكّل عليه عزّ و جلّ، و كأنّه يقول أنّ ما فعله ليس هو المفتاح الذي يفتح كلّ الأبواب، فهل يعجز الرّحمن عن تعطيل الأسباب ؟!.

التّوكّل أساس الدّعوة الفنيّة، فهو يجسّد مبدأ العقل المتّحد من زاوية تأكيد، كي يعلم الذي لا يزال الجهل معشّشا في رأسه و الغفلة مستلقية في قلبه أنّ الله هو الأصل، و ما وضع من قوانين و أسباب ما هي إلاّ لتؤكّد النّظام الموضوع منه، و ليس لإلغاء وجوده تعالى على الإطلاق، فسنّة الله في خلقه تقتضي كل ذلك من ترتيبات.

لاحظ للمرّة الأخرى أن الوجود يختلف في الجنّة عنه في جهنّم.

إذا كان الله هو محور هذا الوجود؛ و أنّه تعالى خلق الدّنيا للعمل ثمّ يأتي الجزاء؛ فاعلم أنّ هناك شيئاً استراتيجيّا في كلّ هذه المعادلة، يمكن أن نقول عنه أنّه **فلسفة الذّنب**، فالعملة التي تتعامل بها مع الله هي التّقوى، إذ بها يكون العمل و ما يستلزمه من جزاء، و باعتبار شيء آخر اسمه " العدوّ المحتمل "؛ فإن الذّنب هو السّلاح الوحيد الذي يملكه هذا العدوّ لتجريدك من سلاحك الذي هو الاتّصال بالقوّة المطلقة " العقل المتّحد "، فيضعف عملك سواء تقنيّا أو من ناحية الجزاء، لتجد نفسك تزداد بعداً عن الله أصل قوّتك.

و الذنب أنواع و أصناف و أقسام، منه ما يستوجب عقاباً خفيفا، و منه ما يستوجب تحذيراً فقط، و منه ما يستوجب فتنة لك تكفّر بها عن الخطايا ... الخ.

إنّ إسقاط عمليّة الإنشاء و الحفظ على عمليّة الخلق و الحفظ لهو إسقاط كفيل بأن تـُرى من خلاله عظمة الله في خلقه، فما نحن سوى بشر يسمّوننا إنشاديّين، و عملنا كلّه و لو أخذنا بكافّة الأسباب الممكنة لا يضمن نتائج مطلقة لولا رعاية الله له، و استمرار دعمه لهذا الوجود، و هذا كلّه سرّ من أسرار الكينونة.

بورك فيك.

28 - ما طبيعة الوجود ؟.

إنّ البحث في الوجود من حيث هو موجود لدعمه و تعزيزه هو ما يُقصد به إيجازاً **فلسفة**، و لا تبحث هذه الأخيرة في طرق تغيير الوجود لأنّه خلق الله، أي أنّه لا يخلق شيئاً ناقصاً أو عديم القيمة، كما لا يرقى إليه اللّهو و العبث و اللّعب، سبحانه؛ تعالى عن هذا علوّا كبيرا.

لنقل أنّ الفلسفة تدافع عن الإيجاب الذي إذا زادت قوّته و انتشرت تناقص السّلب و تصاغرت قيمه، و إذا شئنا اختصرنا كلّ ما قيل سالفاً في عبارة : " قل الحق "، بدل قولنا " لا تكذب ".

و الوجود متشابك و معقّد بتداخل بعضه في بعض، ذو علاقات تبادليّة تفاعليّة متعدّية، فإحداث أيّ شيء فيه معناه التّأثير على هذه العلاقات، أمّا العقل الإنسانيّ فيتناول الوجود جزءاً جزءا، و ما هو كذلك، لأنّه لا يستطيع أخذ الكلّ دفعة واحدة.

تحت هذا الخطّ يقع الالتباس، فيُظنّ و يُعتقد أنّ إضافة شيء ما إلى الوجود أو إنقاصه؛ لا يؤثّر على القضيّة العامّة، في حين أنّ الظّواهر الوجوديّة متعدّدة الأشكال، منها ما هي بارزة، و منها ما هي مستترة، و ما قيل عن الشّكل يُقال عن الدّرجة.

يحمل الوجود قيمة الضّعف جوهريّا، فلا قوّة ذاتيّة له مطلقا و إن بدا العكس من ذلك، فالله هو وحده مانح القوّة بذاته، لكلّ مخلوقاته عبر الأينونة (المكان) و الكينونة (الطّبيعة) و الميتيّة (الزّمن)، مخلوقات أوقعها الله في مجتمعات متقاطعة، بما يحمله مصطلح التّقاطع من حتميّات كالصّراع و التّحالف و التّنافس ... الخ.

إنّ المجتمع البشريّ ليس مجتمعاً منفصلا عن بقيّة المجتمعات، إنّه واحد فقط من أربعة رئيسة، أقواهم مجتمع الملائكة، و أضعفهم مجتمع الشّياطين، بينهما مجتمع الجنّ، و أيّ إنكار لهذه المجتمعات المعروفة منذ القدم ما يكون سوى إغماض العينين عمداً عن الحقائق الواضحة وضوح الشّمس.

إنّ الوجود معناه الحقيقة، و اللا وجود معناه إيحاء الافتقار إليها بعدّة مظاهر كالخيال، و الكذب، إلاّ أنّ الفرق بينهما يكمن في عامل الزّمن، فالأشياء التي مرّ عليها زمن ما؛ تدخل ضمن إطار الوقوع، أي المساهمة في علاقات التّأثير الجدليّ، عكس التي لم يمرّ عليها زمن، إذ أنّها في هذه الحالة تنتظر عامل الإدخال، و القول أنّها دخلت هو افتراء على الله و ادّعاء كاذب، فهو لم يخلقها في الواقع، و إنّما خلقها في الوجود كما يحدث في الرّؤيا، أو لم يخلقها أصلا.

لتفرّق بين الوجود و الواقع، فهذا يجعلك تدرك شيئا آخر لا يقلّ أهميّة عمّا ذُكر سالفا.

هناك الواقع و هناك المفترض، غير أنّ " الافتراض " مصطلح يحمل ماهية غيابه عن الواقع، من حيث أنّه لا واقع فقط، لا من حيث أنّه واقع، إذ ترتبط حقيقة الأشياء بالوجود و ليس بالواقع، و لو كان العكس؛ لما استطاع أحد تغيير هذا الواقع، فكلّ شيء يحمل ميزة حقيقة واحدة وحيدة ثابتة لا تتغيّر على الإطلاق، فيكون الواقع جامداً ستاتيكيّا يبعث على الملل و الضّجر و النّفور.

يتحرّك العقل البشريّ وفق الأفكار التي يحملها، فهي التي تصنع الواقع، أمّا الوجود فهو مخلوق بإرادة عليا حكيمة، و عليه فإنّ الأفكار تحدّد مصير الإنسان إلى الجنّة أو إلى النّار، أين تفنى المادّة في الدّنيا، و ينتقل الجميع إلى حياة أخرى لا تعرف الزّوال عن طريق باب الموت.

و كما تصنع الأفكار الواقع فإنّ اللا واقع يصنع اللا أفكار، و ما هذا سوى برهان على أنّ الوجود له من التّعقيدات ما لا يعلمه إلاّ من كان خارجه، أي القوّة المطلقة التي أنتجته، و وضعت أسراره في شبكة معقّدة أيضاً من المعارف، و وجود الله خارج الوجود لا يعني أنّه غير موجود، و لكنّ العقل يستدعي تفصيل القضيّة إلى أجزاء قد تبدو للنّاظر إليها أنّها متناقضة، في حين أنّها تتكامل للنّاظر فيها.

كذلك الشّأن سواسية مع الواقع و اللا واقع، و الأفكار و اللا أفكار.

29 - ميّز طليعة الإدراك.

الإرتقاء الفكريّ للجنس البشريّ نتيجة ارتقاء قدراتيّ عقليّ، فلا مجتمع النّمل أسّس حضارة مثله، و لا مجتمع النّحل استطاع الوصول إلى ما وصل إليه الإنسان، و لا إلى ما سيصل إليه بمشيئة الله، و من هذا المنطلق أعتبر مجتمع الحيوان على تباين أنواعه مجتمعاً خادماً لا مخدوما، مسخّرا لبني آدم من أجل جوهر وجوده، و أهمل مجتمع النّبات - إن صحّ المفهوم - لنفس السّبب، فأضحى لدينا ما هو أهمّ، انطلاقا من مدار مركزه الرّحمن.

قد لا توافق ما سبق، و لكن دعنا نتّجه لما يحمل سمات أكثر جوهريّة.

إنّ وجودك كإنسان ترجع أصوله الأولى إلى آدم عليه السّلام - و آدم من تراب -؛ ليستلزم أن تراعي شروط هذا الوجود، بل حتميّاته، فلأيّ شيء خُلقت ؟، هل تعتقد أنّ مجتمع الحيوان الذي سُخّر لك؛ و الجماد الذي هو في الأصل رهن إشارتك؛ من أجل أن تستيقظ صباحاً تأكل ما شئت، و تفعل ما اشتهيت ؟، ثمّ يأتي عليك يوم تموت فيه ؟، هل كلّ ما كلّف الله من هذا الكون - و هو الغنيّ سبحانه - من أجل لا شيء ؟، تأمّل أنت الفقير و لو أنتجت الأحجار الكريمة؛ ترفض أن تصرف دون أن تتحصّل على مقابل، و هو الرّحمن مالك كلّ ما أنت راتع فيه، يده تبسط إليك عبر الزّمن و المكان خيراته اللاّ محدودة، و الغفلة قد أقامت في قلبك صروحا.

تأمّل ... لو لمست سلكاً موصولاً بالكهرباء لصُعقت، أمّا إنذاراته المتكرّرة لا تصعق فيك و لو شعرة، مسكين أنت و أيّ مسكين، نعمه لا تنبّهك، و إنذاراته لا تهزّك، فاحذر أن يكون لك الأمان.

هذه هي الخطوة العزيزة في الإدراك، أي تعي دورك في الوجود، فأنت داعية إليه عزّ و جلّ، ارتديت حلّة فنيّة، مزركشة بزركشة تعكس اختلاف الأدوار في فنّ الإنشاد.

إذا أدركت الوعي من وجودك، ألزمت نفسك ما ينتقل عنه من قضايا.

يوجد في الدّنيا صراع بين الخير و الشّرّ، بين أصحاب النّوايا الحسنة و أصحاب النّوايا السّيّئة، و هو صراع حتميّ باعتبار تواجد الوجود في الدّنيا، أ تنكر المجتمع الرّابع، أم تغمض عينيك عنه ؟.

يتطلّب هذا الصّراع الحصول على كافة أسباب القوّة لضمان الخروج منه بأكاليل النّصر، أي ربط قناة سليمة متينة مع من يملك الأصل و المنتهى، و لا أحد في الوجود له ما له من ذلك كالله ربّ كلّ شيء و خالقه، فهو الأصل اللا منتهي، الأزليّ السّرمديّ، و هذا في حدّ ذاته إدراك.

تأمّل ... لو أردت القيام بأيّ شيء؛ لاحتجت إلى أشياء، لأنّك لا تملك جواهرها، عكس الله تماما الذي يحتاجه كلّ شيء و هو غنيّ عن جميع الأشياء، و هذا ما يُطلق عليه مبدأ " الارتقاء الحيويّ "، فالكلّ يحتاج للكلّ حتّى يبقى على قيد الحياة، و في الأصل هم محتاجون إلى الله، أمّا احتياجاتهم لبعضهم البعض فشكليّة سطحيّة، لا يمكن أن تكون قائمة بذاتها، إذ أنّ لا أحد يملك وجوده بالمعنى الحقيقيّ للمفهوم، فكيف يملك وجود الآخرين ؟؟.

و لا يقتصر وجود الأشياء على ما تشغله من فضاء إن كانت ماديّة، أو ما يتكوّن في أذهان النّاس من مفهومها، بل يتخطّى ذلك إلى ما تقدّمه من أعمال، و ما لها من آثار تفي بالغرض من خلقها، أو ما يستلزم وجودها كالظلّ للجسم المادّيّ، و عليه فإنّ إحداث أيّ شيء لا يمرّ هكذا دون أثر على الأقلّ، و سرعان ما يتطوّر إلى مضاعفات.

إنّ التّفكير في مدى الأثر الذي يخلّفه الشّيء لا يكون تفكيراً محدوداً في المساحة الشّيئيّة المشغولة لوحدها؛ بل في التّفاعل النّاتج من قيمة أثر الشّيء مع آثار أشياء أخرى، لأنّ الوجود معقّد التّركيب، و بالتّالي آثار أشيائه متداخلة متقاطعة لا تنعزل مطلقاً و لو بدا العكس للنّاظر.

و رغم هذا التّداخل و الكرّ و الفرّ؛ فإنّ الوجود هو الوجود، لا يمكن له أن يتبسّط، كما لا يمكن أن يستغني عن أجزائه إلاّ إذا أراد الله خالقه له هذا الاستغناء، و بالتّالي فإنّ تحريكه يتمّ وفق قوى متصارعة سبق التّطرّق إليها، استعمالاً لأسلوب التّوجيه عن بعد، الذي هو صورة واحدة فقط من صور فلسفة الارتقاء الحيويّ، أي جعل **س** في خدمة **ع**، خدمة يراها **ع** طبيعية جدّا تتمّ طبقاً لوجوده في الوجود، لأنّ الحياة تقتضي أمثال هذه الخدمة، و الإنشاديّ يخدم الهدف الأسمى، بالتّحكّم في هذه القوى التحاماً مع القوّة المطلقة، بالتّحكّم في الدّوائر المعرفيّة المتداخلة تداخل عناصر الوجود و آثارها، و تقودنا الفكرة كما يقودنا المقام إلى حلقة من الميكانيزمات تحرّك العمل الدّعويّ في فنّ الإنشاد، ابتداء بالاستقراريّة، و انتهاء إليها.

إنّ الاستقرار عامل مهمّ في الدّعوة الفنيّة، بما يحويه من أبعاد، استقرار نفسيّ و عقليّ و صحّي ... الخ، و رغم أنّ الإنشاديّ يستطيع العمل إذا انعدمت هذه الآليّة؛ إلاّ أنّ ذلك شاذ لا يؤسّس لحكم عام، تختلف درجاته استثنائيّا من

شخصيّة لأخرى، حسب قدرتها على المقاومة.

إذا استقرّ الإنشاديّ وجّه قوّته المتجمّعة إلى هدف واحد، بعدما كانت مشتّتة، كلّ جزء يذهب لجهة معيّنة، و كلّما تشتّتت القوّة الواحدة إلى عدّة أجزاء؛ ضعفت بالقدر الذي تصبح فيه عقيمة.

بمعنى آخر إنّ عمل الإنشاديّ في الدّعوة الفنيّة لا يكون عملاً ذا قيمة عالية إلاّ إذا تمّ تركيز القوة الشّخصيّة عليه كاملة، دون الانشغال بقضايا أخرى تشتّت الذّهن، و ربّما تلقي اليأس و القنوط في قلب الفاعل، و تولّد طاقة سلبيّة ذات قدرات تدميريّة هائلة.

و لكن سبق و أن تعرّفنا على فكرة تقول أنّ الوجود معقّد و مركّب، إذن يجب البحث عن قواعد و أصول هذا التّركيب ليُتحكّم فيه، أي العلم الذي هو مفاتيح هذا الوجود، أو سيجد الإنشاديّ نفسه في واد، و الحقيقة في واد آخر، و ستغزو الخرافة و الأسطورة الميدان، و يعيش الجميع في وهم من المعتقدات، لا تمتّ للواقع بصلة.

و من باب تعقيد الوجود ندخل دائما، و هذه المرّة إلى ثراء السّاحة العلميّة، فكما أنّ الأشياء تتداخل مع بعضها البعض (آثارها)؛ فإنّ القوانين التي تنظّمها تتداخل أيضا، و كلّ ميدان علميّ يُرى في الواقع مستقلاً عن غيره؛ هو في الأصل متشابك مع غيره من الميادين العلميّة، فلا يمكن لأيّ إنشاديّ أن يلمّ بها جميعا، إذ كلّ واحد يتنامى نموّا سريعا، و كلّما تفاعل توالد، و عليه فالاختصاص يصبح أكثر من ضرورة.

إنّ التّحكّم في الميدان معناه السّيطرة على كلّ شاردة و واردة، أو قل محاولة السّيطرة و معناه كذلك إيجاد قدم راسخة في السّاحة، بواسطة وضع مفاتيح الوجود في اليد دائما، أي أنّ الإنشاديّ دائم الحضور بالمعنى العلميّ، لا بالمعنى العام، حيث الحضور الشكليّ لا يمكن أن يحل محلّ الحضور الجوهريّ، فالأوّل يتحكّم فيه العالمون بالحقيقة، أمّا الثّاني فهو العالم بالحقيقة.

و الحضور بالجوهر يخلّف انطباعا بالتّواجد الفكريّ، أي التّواصل مع الجمهور المختلف بغية تجنيده لتحقيق الوعي من الوجود، و لا يكون التّواصل دون اتّصال، بغضّ النّظر عن أشكاله و أنواعه و طبيعته، فلكلّ واحد منها غرض يخدمه.

بالقدر الذي نجنّد فيه الجمهور من أجل تحقيق إدراك الوعي من الوجود؛ بالقدر الذي نبلّغ فيه النّـاس دعوتنا الفنيّة، و نريهم مدى رقيّ هذا الفنّ، و ما من مسحة من ذهب، إنّما هو تعلّقه بالدّعوة إلى الله تعالى ما جعله يرتفع.

يقترن مفهوم الاتّصال بمفهوم التّبليغ، كما يقترن مفهوم التّحكّم في العلم بمفهوم الاستحواذ على الميدان، غير أنّ كلّ ذلك لا يهمل عنصر التّكيّف مع الواقع، آخذين بعداً مغايراً تماماً لما يُعرف عند النّاس، فالتّكيّف لا يعني قبول كلّ ما هو موجود في الوجود، خيره و شرّه، بل ما هو ضروريّ لدعمه و تعزيزه فقط من أجل الحفاظ عليه قائماً بطبيعته الخيّرة.

نلمّح في هذا الموقف إلى الحقول الإنشاديّة و ما تغطّيه من مواضيع تفي بحاجة الجمهور، كي لا يُفتقد الشّيء فيُبحث عنه في فنّ غنائيّ آخر، يذكّرك هذا بالدّيمومة من جهة، فحتّى يحقّق وجوده يفي بالغرض منه، و يعالج الموقف بما يزيد من قوّة الوجود لا بما يضعفه.

عندما يحدث كلّ ما سبق تتدعّم الاستقراريّة، التي بدأت من الإنشاديّ و شيئاً فشيئا مرّت عبر أفعاله إلى الواقع، حيث صنع له مكانا فيه حسب إرادته، و إذا كان دعّم الوجود و عزّزه؛ فهو يدعّم مملكة الله التي يسود فيها الخير ... كلّ الخير.

30 - الموسيقى غذاء الرّوح، حلّل و ناقش.

تشير أرجح الأفكار إلى أنّ ظهور هذه العبارة كان عند المجتمعات الأوروبيّة، و إن كان البعض يرون أنّ المجتمع الأمريكيّ الشّمالي قد تبنّاها كذلك، في غياب الوازع الدّينيّ لدى أفراد هذه المجتمعات، و لكنّ الفكرة العامّة تبقى قائمة على فقدان التّغذية الرّوحيّة السّليمة، ممّا تطلّب اللّجوء إلى الموسيقى في أرقى سمات وجودها، أي كفنّ قائم على علم، له شخصيّاته باختلاف الفنون الموسيقيّة؛ كالكلاسيك و الجاز و البلوز و غيرها.

إنّ بُعد الفرد عن الله قضيّة مفزعة لما ينجرّ عنها من نتائج، فمن شأن هذا البعد المتنامي باستمرار أن يجعل من هذا الفرد يعيش في دوّامة من العذاب الوجدانيّ، بما تحمله الكلمة من مفاهيم واسعة، متمثّلة في مظاهر كثيرة كالكآبة و القلق و ما ينعكس عنهما تجاه الأفراد الآخرين أخلاقيّا، و ما من شكّ في أنّ دوام هذه الحالة ستصل بصاحبها إلى الانتحار كحل يراه خلاصاً من الجحيم الذي يعيش فيه، رغم كلّ ما يمكن أن يتوفّر لديه من متع الحياة الماديّة.

إنّ الرّوح البشريّة نفخة من الله، أي أنّها جزء منه، و نحن هنا نركّز على أنّه تم استعمال هذا التّعبير كدلالة عن الأساس لا غير، دون تشبيه أو تعطيل أو ما سواهما، فالطّبيعة الإلهيّة تختلف عن الطّبيعة الإنسانيّة، فإلى الله نعود كلّنا، و بكلامه عزّ و جلّ تتغذّى أرواحنا، و مع ذلك فإنّنا في حاجة إلى المادّة باعتبارنا في الدّنيا، أي أنّ الجانب المادّي حتميّة من حتميّات هذا الوجود، دون أن يكون في هذا الرّأي تناقض للأجسام غير الماديّة.

إنّ احتياج الرّوح إلى المادّة، ينبع منه احتياجهما لما يقوّي نوعيهما، فالمادّة تحتاج الطّعام و الشّراب و الملبس، و الرّوح تحتاج ذكر الله من قرآن و تسبيح و صلاة ... الخ، فلا يمكن إجراء عمليّة تفاضل، لأنّ الإنسان روح و جسم.

على الأساس السّابق؛ ننظر إلى الإنشاديّ بنظرة حريصة على الاعتناء بكلّ ما يصل بمادّته إلى المستوى الرّفيع المطلوب لبلوغ هدفه الأسمى، فاعتناؤه بجسمه من تغذية سليمة أمر واجب، و تحسين مظهره و هندامه من رشاقة و أناقة أمر واجب أيضا، فهو مظهر يشكّل غلافاً خارجيّا له، أمّا روحه فهي جوهره الذي بالدّاخل.

و الجمهور لا يستسيغ رسائل الدّعوة الفنيّة من إنشاديّ ذي روح ارتقت في سلّم الخير؛ أمّا غلافه الخارجيّ ففي انحدار مستمرّ.

إنّ احتياج الرّوح للتّغذية الإلهيّة لا يعني إهمال وسائل التّرفيه و التّسلية، فهذه من شأنها تخفيف مشاقّ الحياة عن النّفس، قبل أن يعتريها الكلل و الملل، فتتأثّر سلباً لينعكس على الجسد، إذ سرعان ما تظهر عليه مؤشّرات الإحباط و الحزن و التّرفزة و ما يلي ذلك من صفات سلبيّة، ستقضي على صاحبها إن لم يتدارك الأمر قبل فوات الأوان.

لوسائل التّرفيه و التّسلية شروط، فلا بد أن تكون جائزة غير محرّمة، غير مضيّعة للوقت، غير ملهية عن الواجبات الأخرى الدنيويّة و الأخرويّة كالصّلاة، كي لا تكون سبباً مباشراً في إلحاق الضّرر بالرّوح.

إنّ الرّوح هو الكائن الموجود فينا المخاطب من الله عزّ و جلّ، محلّ الجزاء أو العقاب، أمّا ما يحيط بنا فهي نسخ إلكترونيّة منقولة إلى الدّماغ ليتعرّف عليها، و لو تمّ تخريب مراكز الاستقبال فيه لما تعرّف على العالم الخارجيّ، العكس صحيح، فإذا ما تمّت تغذيته بمعلومات إيحائيّة اعتقد أنّ ذلك هو الواقع، و ما يحدث في الرّؤيا إلاّ برهان على هذا، فدرجة الواقعيّة التي تكون في الكابوس مثلاً؛ تؤدّي بالنّائم إلى الاستيقاظ فزعاً و العرق يتصبّب منه، رغم أنّ ذلك لا يوجد في الواقع، فسرعان ما يهدأ شيئا فشيئا إن علم أنّ كلّ ما رآه لا يمتّ لليقظة بصلة إلاّ إذا تدخّل علم آخر يجعل من الأحلام و الرّؤى شيئا يقع في الواقع، **علم الرّؤيا.**

بناء على كلّ ما سبق؛ فإنّ الرّوح إذا كانت محاسبة؛ فلا لشيء سوى لعملها في الدّنيا، مع العلم أنّ الله يعلم مآلها قبل أن تعمل، أي أنّه لو حاسبها بعلمه لما ظلمها، و لكنّه من حكمته و رحمته سبحانه و تعالى أن قدّر العمل، جاعلا إيّاه دليلا في حدّ ذاته على محاسبة الرّوح.

العمل الصّالح مجال واسع متشعّب، منه الدّعوة الفنيّة التي بدورها مجال واسع متشعّب أيضا، و الإنشاد كدعوة إلى الله عن طريق الفنّ؛ المرتكز على العلم؛ باب من أبواب الخير الذي سيحاسب عليه الله عزّ و جلّ، فلتسع رحمته كلّ شيء.

الخاتمــة :

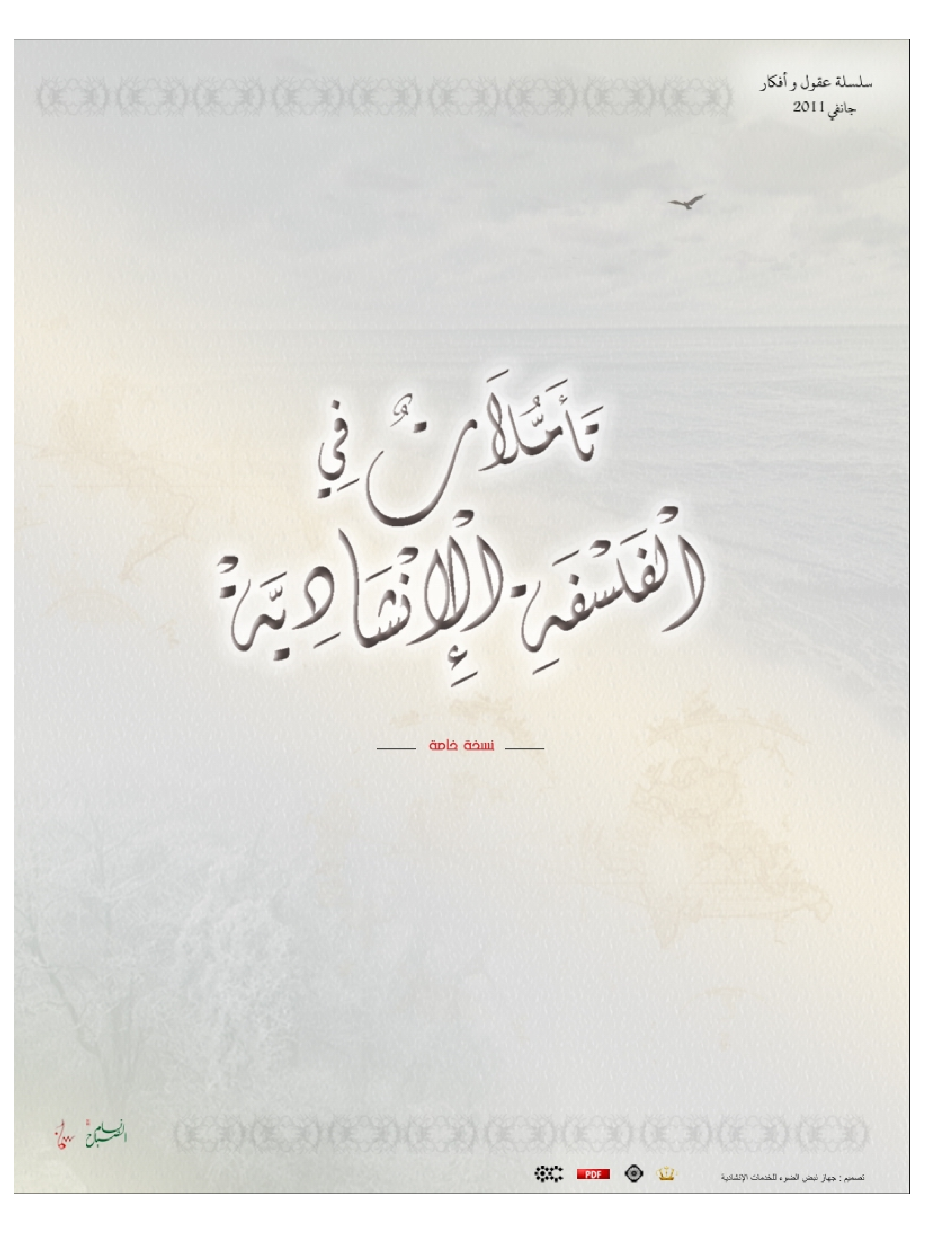
يُعتبـر كتاب " تأمّلات في الفلسفة الإنشاديّة " إزاحة للغموض الذي اكتنف مدرسة الاختصاص، و تفسيرا للنّسق المعرفيّ المبنيّـة عليه، و هو من زاوية أخرى يرفـع قيمة الفهـم لمبدأ الأدوار، و لعلّ المطالـع للكتـاب السّابق المعنـون " فلسفة الأدوار في مدرسة الأفكار "؛ قد لاحظ نوعـاً من الفـراغ المعرفيّ حول البنية التّحتيّة لمفهـوم الاختصـاص فالتّخصّص.

يترابط الكتابان كثيرا من زاوية الفلسفة الإنشاديّة، و يختلفان في المنحى الفكريّ، فكان تركيز الأوّل على التّأمّل في الدّلالات المعرفيّة للدّور، حين ركّز هذا العمل على ما هو أعمق منه و أشمل، ممّا قد يجعله أهمّ من سابقه.

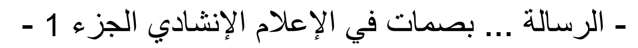
و لو نظرنا إلى أفق أبعد؛ لقلنا أنّ كينونة كتاب " تأمّلات في الفلسفة الإنشاديّة " كينونة وجوديّة مرتبطة بكينونة التّفكير الموجود عند الإنشاديّين المطالعين له، حيث يفتح لهم مجالا عقليّا جديدا لتفعيل أنشطتهم العقليّة أوّلا و قبل كلّ شيء، من أجل أعمال إنشاديّة مختلفة مبنيّة على إدراك ما هم مطالبين بإدراكه، و حتّى تتوفّر لديهم الإرادة الصّادقة في التّوقيع على قرار إعدام كلّ عمل عشوائيّ، للشّيطان حظّ منه و نصيب، فهلاّ دمّثت لجنبك قبل النّوم مضطجعا ؟.

جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية
الإقليد جانفي 2011


جانفي 2011
سلسلة عقول و أفكار
تأملات في الفلسفة الإنشادية
نسخة خاصة
30
أطروحة للمناقشة
PDF
تصميم : جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية


سلسلة عقول و أفكار
جانفي 2011
تأملات في الفلسفة الإنشادية
نسخة خاصة
تصميم : جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية
PDF

من إصداراتنا

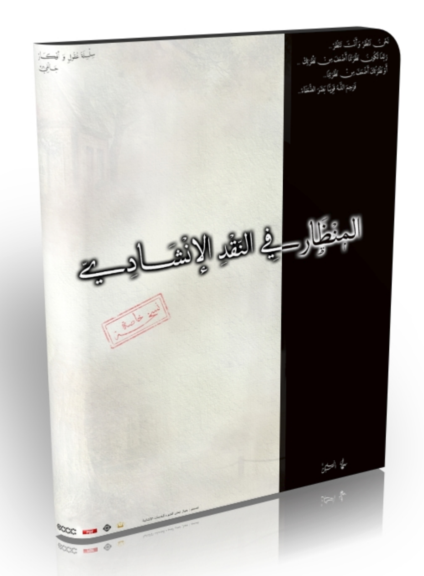


- الرسالة ... بصمات في الإعلام الإنشادي الجزء 1 -



● من المفروض أن يكون العنوان خير دليل على المضمون، فإذا شئنا أن نوضح أكثر قلنا أنه مساحة حقيقة تعـرف المهتمين بما يدور في مجال الإعلام الإنشادي، و خاصة أمام تطور العالم و نظرة الأهمية التي بدأ يوليها للاتصال و التواصل من أجل إنشاء الدولة العالمية الواحدة.

- المنظار في النقد الإنشادي -



● رؤية موضوعية إلى النقد الإنشادي، موجهة إلى الجمهور و إلى الذين يجب أن يبرزوا كنقاد من أصحاب الاختصاص، كل ما قد يجول في الأذهان من تساؤلات حول هذا الميدان الذي لا تكفي كلمة مهم للتعبير عنه كاملا، هو مدخل يفتح الباب فقط لتكون أنت و أنتِ بالداخل.

- مرايا إنشادية -



● ربما تكون قد اطلعت على هذه المقالات من قبل، هي الآن في كتاب واحد بعدما نشرت من قبل عند صدورها في 10 أجزاء، حرصا على المنفعة العامة لكل إنشادي، أو حتى من الجمهور، فإن لم تنل شيئا من المسك؛ هل تضيرك رائحته الزكية ؟، لتطالع على الأقل 330 مقالة في مواضيع متشعبة لا تخرج عن المربع الإنشادي، فقد يأتي إلى ذهنك أن بعضها خارجة عن الجسم، كلا ... كلها في الإنشاد، المشكلة أن فن الإنشاد لديك مفهوم ضيق المساحة، فهلا خرجت من الزجاجة من فضلك ؟؟؟..